حنطة

لافتة نظري

حنطة | السنة الثانية | العدد ٨ | ١٥ آب ٢٠١٣ | مستقلة نصف شهرية

لوحة الغلاف : الفنان
عبد الله العمري

على بيادرنا:

سراقب المحررة.. الأرض والإنسان بين عباءة الدين والرصاصة..... ياسمين مرعي

اضطرابات ما بعد الصدمة..... جنان علي

مصطفى اسماعيل ضيف بيدر حنطة... لقاء لارا صبرا

عن «الإخوان المسلمين» و«الإخوان العلمانيين» في مصر وغيرها... ماجد كيالي

أمتان ومستقبلان... علي العبدالله

الاقتتال الداخلي بين مجموعات القاعدة وتيّار المتمرّدين يقوّض الثورة في سوريا.... عن الواشنطن بوست الأميركية.. ترجمة سامي شيخ أيوب

أربع فصول حمراء ومنقار ... بشرى جود

إن الآراء الواردة في حنطة تعبر عن رأي الكاتب ولاتعبر بالضرورة عن رأي الصحيفة

www.hentah.com

سراقب المحررة
الأرض والإنسان بين عباءة الدين والرصاصة

ياسمين مرعي

عدسة عبد الله المحمد

المشهد العام في المدينة:

سراقب المدينة الواقعة في ريف إدلب الشرقيّ والمحرّرة منذ عام، تميّزت منذ بداية الثّورة بحراكها المدنيّ النوعيّ الذي تجلى ألواناً على حيطانها، ومواجهةً للمدّ المتطرّف الذي تعاني منه المدينة اليوم كغيرها من مناطق الشّمال السوريّ المحرّر، إضافةً إلى احتوائها لجميع التيّارات من مدنية، عسكريّة، وعلمانيّة وإسلاميّة. وقد شهدت سراقب تشكيلَ كتائب للجيش الحرّ، وانطلاقَ بعض الحركات الإسلاميّة، وهي اليوم أرضٌ خاضعةٌ لتنازع أطرافٍ كثيرة؛ فيها مجلسٌ محليّ، كتائبٌ للجيش الحرّ، وكتائبُ لكلٍّ من جبهة النّصرة، وحركة أحرار الشّام، ودولة العراق والشّام التي ظهرت مؤخّراً على الساحة.

النّاس في سراقب في حالة ترقّبٍ دائمٍ للموت نتيجة القصف العشوائيّ الذي ما زال النظام مستمرّاً فيه حتّى اليوم، والذي شهدنا أحد فصوله أثناء زيارتنا للمدينة بين السّابع عشر والتّاسع عشر من شهر تمّوز المنصرم، وهم كذلك في حالة قلقٍ من إمكانيّة الاعتقال أو الخضوع لتنفيذ حكمٍ شرعيٍّ تسنّه الحركات الموجودة وتشرعن تطبيقه عليهم بقوّة السلاح.

والسراقبيّون –كغيرهم من السوريّين– يعانون من سوء الحال الاقتصاديّة؛ إذ لا موارد كافيةً تصل إليهم، وإن وصلت فلا قدرة لدى الجميع على شراء ما يحتاجونه.

المجلس المحليّ بين المواجهات وأداء الواجب:

تمّ تشكيل المجلس المحليّ لمدينة سراقب قبل عامٍ تقريباً، يضمّ في مكتبه التّنفيذيّ ثلاثة عشر عضواً، وهو بمثابة إدارةٍ محليّةٍ للمدينة تشرف على الشّقّ الخدميّ، ولا تمثل أيّة سلطةٍ سياسيّة. ينسّق المجلس نشاطاته بالتعاون مع جميع القوى المتواجدة على الأرض؛ وخصوصاً حركة أحرار الشّام نظراً لكونها السّبّاقة في الالتفات إلى الحيّز الخدميّ في المدينة ولأنّها الأكثر قابليّةً للتعاون، حسب أعضاءٍ من المجلس.

يقول أعضاء المجلس أنّه مستقلٌّ في قراراته رغم اصطدامه في كثيرٍ من الأحيان مع اللجنة الأمنيّة الموجودة في المدينة.

(أسامة حسين) الرّئيس السّابق للمجلس ونائب الرّئيس الحاليّ له يخبرنا أنّ (حوالي ٧٠ ٪ من أهالي سراقب مازالوا موجودين في المدينة ويقدَّر عددهم بحوالي ٣٠ ألفاً) ويقرّ حسين بعجز المجلس عن تغطية كلّ الاحتياجات في ظلّ الدّعم الماديّ المحدود الذي يقدّمه الائتلاف، والذي استلمه المجلس –حسب أعضائه– على دفعتين بلغت الأولى ١٥٦٠٠ دولار، والثانية ٣٧٧٧٥ دولار، وذلك منذ بداية عام ٢٠١٣، علماً أن حصّة سراقب من هذا الدعم هي ٣٥ ٪ فقط لأن المبلغ مخصّص للمدينة وريفها أي لتغطية حاجات ١٢٦٠٠٠ نسمة.

يوضح حسين أن المبلغ الأوّل خُصّص لأسر الشّهداء، في حين رُصد الثاني للإغاثة، حيث يتولّى المجلس توزيع الحصص الغذائيّة على ١٤٠٠ أسرة من أصل ٣٠٠٠ موجودة كلّها في سراقب.

يؤكد هذا الكلام (محمد اسماعيل) عضو المجلس المحلي، ويشير مع الحسين إلى أنّ المجلس مدينٌ لتجّار المنطقة بمبلغ ٤,٨ مليون ليرة سوريّة.

ويؤكد الجميع من أعضاء المجلس والنّاشطين أن العبء الرّئيس الملقى على عاتق المجلس اليوم هو المحروقات الضرورية لتوفير الخدمات من هاتفٍ أرضيٍّ وكهرباء، إضافةً إلى تشغيل سيّارات النّظافة وغيرها من الاحتياجات الخدمية للمدينة.

«منهل باريش» النّاشط المدنيّ وعضو المجلس الوطنيّ يقول إن: (المجلس ليس سلطة، ومسؤوليّته القيام بكلّ الخدمات، وهو ليس مدعوماً بما يكفي من قبل الشّارع السراقبيّ، وربما يعود السبب في ذلك إلى التقصير الإعلاميّ في تغطية نشاطات المجلس). ويرى أنّه (يجب دعمه بعيداً عن الحساسيّة، وأنّ الهجوم على المجلس هو من قبل النّشطاء وليس من قبل عامة النّاس، وذلك ظنّاً منهم أنّه معيَّنٌ من قبل اللجنة الأمنيّة وبتوافقاتٍ عسكريّة). ويقرّ باريش بحقيقة الصّراع بين المجلس واللجنة الأمنيّة لكنّ هذا لن يحيل المجلس برأيه إلى التوقّف عن العمل. ولأنّه لا يملك قوّةً على الأرض فسلاحه الوحيد هو ما يقدّمه للنّاس من خدماتٍ تحوّلهم إلى حصانةٍ حقيقيّةٍ له تدعمه أو تحجّم دوره.

قيادات الجيش الحرّ في سراقب تؤكّد دعمها للمجلس المحليّ وتدعو جميع الأطراف على لسان السيّد (أبو دياب) قائد إحدى الكتائب والذي يشهد بقيام المجلس بدوره ضمن الإمكانات المتاحة، إلا أنّ قلّة التّمويل وبالتالي صعوبة تأمين كلّ احتياجات النّاس تُفقد المجلسَ ثقتهم به حسب رأيه.

وتجاه كل هذه المسؤوليّات والصّراعات وقلّة الموارد يقف المجلس عاجزاً أمام بعض أهمّ احتياجات المدينة، والمتمثّلة في تأمين المواد الغذائيّة الأساسيّة بالكمّيّات الكافية، وإيجاد فرص عملٍ للأهالي الذين ضاقت بهم السّبل، وفتح المدارس، وفيما يتعلّق بالمشكلة الأخيرة يذكر (أسامة حسين) أنّ اتفاقاً عقد بين المجلس ومحافظ إدلب على أن يتوقّف القصف خلال ساعات الدّوام، وذلك في محاولةٍ من المجلس لحلّ مشكلة التّعليم، إلّا أنّ الاتّفاق خُرِق بعد ثلاثة أيّام وقُصِفت المدارس ممّا أسفر عن إصابة أربع طالباتٍ في إحدى المدارس ودفع بالأهالي إلى التوقّف عن إرسال أبنائهم. ويأسف الحسين من عدم توفّر وسيلةٍ للتّعويض حتّى لو تمكّنوا من الحصول على المنهاج بنسخ الكترونيّة لأنّ الحواسيب ليست متوفّرةً في كلّ المنازل؛ وإن وجدت فالكهرباء غير متوفّرة.

بين الجيش الحرّ و الكتائب الإسلاميّة:

يُضاف إلى كلّ أزمات المدينة أزمةٌ أخرى هي الأعقد والأكثر تأثيراً على حياة الجميع تتمثّل في تواجد أكثر من قوّةٍ مسلّحةٍ على الأرض.

العمّ (أبو دياب) قائد كتيبة شهداء سراقب رجلٌ مدنيٌّ استلم قيادة الكتيبة بعد استشهاد ابنه (قائدها السّابق)، يتحدّث عن واقع تواجدهم في المدينة، حيث يرى أنّ السّيطرة على الأرض هي بشكلٍ تقريبيٍّ للجيش الحرّ، وينبّه إلى خصوصيّة وضع سراقب نتيجة وجود الكتائب الإسلامية، لكنّه لا يبدي قلقاً شديداً من هذه الكتائب إذ إنّ الشّارع -بتصوّره- سيختار بين الجهتين بعد سقوط النّظام.

و رغم عدم قلقه من اقتحام النّظام لسراقب مجدّداً إلا أنّه يشكو نقص الذّخيرة، ويلقي باللائمة على المجلس العسكريّ الذي يعطي الذّخيرة حسبَ العمليّات، وعلى اعتبار سراقب منطقة محرّرة فلا حاجة لتزويدها بما تُزوّد به غيرها من المناطق المشتعلة، لكنّ الواقع يقول غير ذلك، فسراقب تتعرّض للقصف حتّى اليوم وهي بحاجةٍ إلى أسلحةٍ نوعيّةٍ كالمضادّات الجويّة التي قد تخفّف من وطأة القصف وعدد الضّحايا الذين يسقطون بين وقتٍ وآخر. فقد كانت حصيلة القصف الذي شهدناه أثناء تواجدنا هناك ستّة شهداء خمسةٌ منهم من أسرةٍ واحدةٍ، من بينهم الشهيد عبد النّاصر العوض.

ويطمح العمّ «أبو دياب» لأن يكون الجيش الحرّ هو المؤسّسة العسكريّة البديلة عن جيش النّظام في المستقبل، ويؤكّد أنّه في حال سقوط النّظام واستتباب الأوضاع سيسلّم سلاحه على طبقٍ من ورد.

لكنّ الأهالي لا يتّفقون مع أبي دياب في أنّ السّيطرة على الأرض هي للجيش الحرّ، إذ يؤكّدون أنّ القوّة الأبرز هي حركة أحرار الشّام، و التي تمتاز بأنّها الأكثر تنظيماً والأقوى من حيث تمويلها وإمكانيّاتها.

(أبو عمر الحموي) عضو المكتب العسكريّ العام في الحركة، ورئيس المكتب العسكريّ في لواء الإيمان قال خلال لقائنا به: (إنّ الحركة -ولواء الإيمان بالتّحديد- أثبتت نفسها في سراقب من خلال المشاركة البارزة في تحرير ستّة حواجز في المدينة» هذا على الصّعيد العسكريّ، ويذكر أنّ (أوّل جمعيةٍ لإدارة المخابز والمستوصفات بعد تحرير المدينة كانت تحت إشراف الأحرار)، والحركة اليوم تؤمّن -حسب ما يقوله الأهالي- الكهرباء وشبكةً للإنترنت، وتشرف على أحد مشافي المدينة بالكامل وتنسّق مع المجلس المحليّ لتأمين العديد من حاجات الأهالي. ويرى الحموي أنّ الجهات التي تحاول تشويه صورة الأحرار هي الجهات العلمانيّة التي تسعى إلى أن لا تكون هناك دولةٌ إسلاميّةٌ في سوريا بعد سقوط نظام الأسد.

هذه السيطرة للأحرار يقابلها تراجعٌ لدور جبهة النّصرة التي كانت -حسب أعضاء المجلس المحليّ- داعماً أساسيّاً لهم خلال العام الماضي في ضبط الأوضاع وذلك بسبب هيبتها التي فرضتها على الأهالي، ويعود تراجع دورها -برأي الجميع- إلى الانشقاقات التي شهدتها صفوفها.

أمّا الكيان الأحدث والأكثر خطراً بإجماع الأطراف كافّةً فهو دولة العراق والشّام الإسلاميّة التي وصل عناصرها إلى سراقب قبل حوالي ثلاثة أشهر، والتي تثير قلق المدنيّين نتيجة ما وصل إليهم عن ممارسات الدّولة في الرّقّة وجرابلس وغيرها من المناطق، هذه الممارسات التي طالت قبل أيّامٍ سراقبَ نفسها من خلال اقتحام المكتب الإعلاميّ واختطاف الصّحفيّ البولنديّ (مارتن سودر) في محاولةٍ لتخويف النّاشطين الإعلاميّين وشلّ نشاطهم، وقد كان (منهل باريش) عضو هذا المكتب ضحيّة همجيّتهم؛ إذ تعرّض للضّرب بالسّلاح.

والحقّ أنّ هذه الممارسات تتسبّب اليوم في نأي الكثيرين بأنفسهم عن الحراك، وإصرار آخرين بالمقابل على الاستمرار في الحالة الثّوريّة على النّظام وعلى هذه الجهات، التي يتبنى بعضها اليوم مشاريعاً لدولةٍ إسلاميّةٍ تختلف صورتها بين مجموعةٍ وأخرى، وتنسف في حقيقتها حلم الكثير من السوريّين في دولةٍ مدنيّةٍ تعدّديةٍ تساوي بين الجميع على أساس الانتماء إلى الوطن فقط.

الحراك المدنيّ ومواقف المدنيّين ممّا يحصل على الأرض:

رغم كل ما سبق ذكره هناك ثقةٌ باديةٌ في حديث المدنيّين حول بقاء الحالة المدنيّة فقط في نهاية المطاف، إذ إنّ ممارسات الحركات الإسلاميّة المتشدّدة وأنصارها ساعدت -حسب ما يرى النّاشط (إياس قعدوني)- على (كشف حقيقة المشروع الخاصّ بهم، وعجّلت في فهم النّاس للواقع القادم، كما أنّها وضعت كتائب الجيش الحرّ في موضع المسؤوليّة).

يقرّ إياس بأنّ المخاوف موجودةٌ وحقيقيّة، وأنّ الموت الذي يتربّص بالنّشطاء المدنيّين أصبح مزدوج المسبّب، فأنصار الدّولة الإسلاميّة في العراق والشّام من جهة، والنّظام من جهةٍ أخرى.

يقول إياس: أنا خرجت مكرهاً بعد ما حصل مع النّاشط الإعلاميّ (عبود حدّاد) الذي قامت الدّولة باعتقاله قبل حوالي شهر، وبعد الفيلم الذي عرضته البي بي سي عن سراقب.

ويشير إلى أنّ سوأ ما تواجهه المدينة اليوم هو مدى التّحريض ضد النّشطاء المدنيّين أو الليبراليّين أو العلمانيّين، لكنّه يرى أن ما يحصل حاليّاً من تصرّفات سيّئة لأنصار الخلافة يسهّل مهمّة التّعريف بمخاطر مشروعهم وبالتّالي زوال هذا المشروع.

تقصير النّشطاء بينهم يجعل الأمور في سراقب أكثر تعقيداً، إذ لا بدّ من تسليط الضّوء على حقيقية صراع مختلَف القوى الموجودة في المدينة على استقطاب الحاضن الشّعبي الذي سيختار الأجدر، ولأنّ مشروع الإسلاميّين لا يقبل وجود الآخر بالمطلق فالصّدام مؤكّدٌ مستقبلاً، ممّا يثير قلق النّشطاء المدنيّين على مستقبلهم كأشخاص وعلى مستقبل سوريا كدولة.

ماذا عن وضع النّساء؟

نساء سراقب هنّ جزءٌ من المشهد العامّ للحال السّائد في المدينة، والذي يمكن القول عنه فيما يتعلّق بهنّ أنّه لم يشهد تغييراً في واقعهنّ الاجتماعيّ، فلدى سؤال نائب رئيس المجلس المحليّ عن عدد النساء الموجودات في المجلس أجاب بعدم وجود أيّة امرأة في المجلس، وأعاد ذلك إلى الصّدامات المستمرّة بين المجلس والقوى الموجودة على أرض سراقب، علماً أنّ سراقب من المدن التي تتميز بارتفاع نسبة المتعلّمات فيها من حملة الشّهادات الجامعيّة.

هناك مجموعاتٌ تحاول دعم السراقبيّات من النّاحية الاقتصاديّة، وزوجات الشهداء خاصّةً.

المسؤولة في مجموعة (سوريّات من أجل التنمية) تقول: (إنّ الحاجات الأكثر إلحاحاً اليوم تتجسّد في طلب الأمان وتوفّر لقمة العيش، وعليه فإنّ أيّ نشاطٍ توعويّ للنساء سواءٌ في الاتّجاه المدنيّ أو السّياسيّ لن يكون مجدياً اليوم، وقد يكون ممكناً بعد عامين أو أكثر أن نطرح على المرأة قضايا تتعلّق بالسّلم الأهليّ وضرورة التّمثيل النّسائيّ على المستويين المدني والسّياسيّ. وعليه فإنّ مشاريع التّنمية الاقتصاديّة التي تمكّن المرأة من كسب قوتها وحفظ كرامتها واستعادة ثقتها بنفسها، هي الأجدى والأكثر قدرةً على إحداث الفائدة والأثر.)

إلى أين تتّجه البوصلة؟

لو اعتبرنا سراقب نموذجاً مصغّراً لسوريا بعد سقوط النّظام فلا بدّ سينتابنا الرّعب من هذا المستقبل الذي ما كان مواطنٌ ليخرج في مظاهرةٍ واحدةٍ لو علم أنّ الوضع سيؤول إليه. وهذا يضع الجميع من سياسيّين وعسكريّين ومدنيّين وإعلاميّين أمام مسؤوليّة التّعاطي بجدّيةٍ ووعيٍ مع الواقع الحاليّ الذي حرف مسار الثّورة في المناطق المحرّرة وأمام الرّأي العامّ، وحتّى في قلوب الثّوار من المدنيّين، وخلق ثورةٍ ضمن الثّورة التي ابتعدت بأهداف الحراك عن إسقاط النّظام إلى التّخلّص من التّطرّف الدّينيّ والعسكريّ، وإلّا فإنّ مصير السوريّين سيكون سنواتٍ طويلةً من الصّراع الذي لن يقصّر في عمر نظام الأسد، بل سيزيد معاناة السّوريّين وحجم خسائرهم.

الجزء الثاني من التقرير الموسع حول الانتهاكات بحق الأطفال في سوريا

الشبكة السورية لحقوق الإنسان

عدسة فريق بصمة سوريا

-فاق عدد الأطفال المتضررين في سوريا ٣,١ مليون، إضافةً إلى أكثر من ٦٥٠,٠٠٠ طفل مسجل كلاجئ في الدول المجاورة. تعمل اليونيسف على إغاثتهم بالرعاية الصحية والتعليم وغيرها من المساعدات.

-القاعدة ١٣٥من القانون العرفي للقانون الدولي لحقوق الإنسان: يتمتع الأطفال المتأثرون بالنزاع المسلح باحترامٍ خاص وحماية خاصة.

-أكثر من ٨٠٠٠ طفل قتلوا على يد قوات الحكومة السورية.

في الجزء الأول من التقرير تم تناول عدة عناوين آخرها (اعتقال واحتجاز الاطفال)

رابعاً: العنف الجنسي: عبر لقاءاتٍ متعددة مع ضحايا العنف الجنسي، وجدنا أن هناك العشرات من عمليات الاغتصاب لفتياتٍ قاصرات دون سن الثامنة عشر، ولانستطيع إعطاء إحصائيةٍ دقيقة، لأن هناك العديد من الحالات لم نستطع توثيقها، والكثير من الحالات رفض أصحابها الحديث عنها، ومنهم من أنكرها، ولكن تقديراتنا تشير إلى أكثر من ٤٠٠ عملية اغتصاب لفتاة صغيرة حصلت في مختلف المحافظات السورية.

تعرضت فتياتٌ في سن ال ١٥ في حي الرفاعي في حمص لعمليات اغتصاب، وفي حي كرم الزيتون وحي بابا عمرو في حمص، كما حصلت حالاتٌ مشابهةٌ لاغتصاب قاصرات في ريف دمشق وفي إدلب في جسر الشغور تحديداً، وفي درعا وحماة واللاذقية وغير ذلك من المناطق، إذن فهي عملياتٌ واسعةٌ وممنهجة.

وقد انعكس ذلك سلباً بشكلٍ خطير على الحالات النفسية لتلك الفتيات، خاصةً وأنهن لم يمارسن الجنس أو حتى يسمعن به، وقد انهارت الكثيرات وهنّ يتحدثن عما جرى لهنّ، وقد سجلنا أن أغلب الحالات حصلت خلال الاقتحام وهناك عددٌ آخر من الحالات حصل داخل المعتقلات لفتياتٍ صغيرات.

-القاعدة ٩٣من القانون العرفي للقانون الدولي الإنساني: يُحظّر الاغتصاب وأي أشكالٍ أخرى للعنف الجنسي.

لقد ارتبط ارتكاب الاغتصاب والعنف الجنسي بالصراع المسلح غير الدولي، ولذا يمكن مقاضاته كجريمة حربٍ تم ارتكابها من قبل القوات الموالية للحكومة السورية.

كما شكلت ممارسة الاغتصاب والاعتداء الجنسي عنصراً من عناصر عملية التعذيب في مراكز الاحتجاز الرسمية وغير الرسمية، مما يشكل انتهاكاً لكل من القانون الدولي الإنساني والقانون الدولي لحقوق الانسان.

خامسا: تجنيد الأطفال: لم نوثّق استخدام قوات الحكومة السورية الأطفالَ كمقاتلين بين صفوفها.

استخدمت القوات الموالية للحكومة السورية في عددٍ كبيرٍ من الحالات الأطفالَ والمدنيين كدروعٍ بشريةٍ خلال عمليات الاقتحام.

-القاعدة ٩٧ من القانون العرفي للقانون الدولي الإنساني: يُحظّر استخدام الدروع البشرية.

سادسا: الأطفال اللاجئين:

يشكل الأطفال والنساء أكثر من ٧٥ ٪ من اللاجئين إلى دول الجوار، وبحسب آخر إحصائيةٍ للشبكة السورية لحقوق الإنسان فقد بلغ عدد اللاجئين ١,٦٩٥ لاجئ، بينهم ١٤٩ ألف طفل (دون سن ال١٨ من العمر)، يعاني أغلبهم من ظروفٍ معيشيةٍ وتعليميةٍ قاسية، ومن حاجةٍ ملحةٍ إلى علاجٍ نفسيٍّ طويل الأمد، من هول المجازر والقصف والدمار الذي عايشوه في مدنهم وقراهم.

الاستنتاجات القانونية: لقد انتهكت الحكومة السورية كلاً من القانون الدولي لحقوق الإنسان، والقانون الدولي الإنساني، حيث ارتكبت القوات الموالية للحكومة السورية جرائم حربٍ وجرائم ضد الإنسانية، عبر انتهاكاتٍ واسعةٍ وممنهجةٍ في القتل خاج نطاق القانون، وفي التعذيب والعنف الجنسي بحسب المادة الثامنة والسابعة من قانون روما الأساسي.

وعدداً كبيراً من قواعد القانون العرفي للقانون الدولي الإنساني: كالقاعدة ٨٩/ ٩٠ /٩٣/ ٩٧/ ١٢٠/ ١٣٥.

ثانيا: الثوار المسلحون: الانتهاك الأكثر انتشاراً في صفوف الثوار المسلحين هو استخدام الأطفال مادون سن ال١٨ في عمليات الدعم للمقاتلين، كالدعم الطبي والمراسلات والتجسس ونقل المؤن والطبخ والخدمات، وفي بعض الحالات النادرة القتال وحمل السلاح.

الاستنتاجات: ١_ الشبكة السورية لحقوق الإنسان تراقب بقلقٍ استخدام الأطفال في الأعمال غير القتالية، وفي حالاتٍ نادرة في الأعمال القتالية وحمل السلاح، ولم تنتشر على نحوٍ واسع النطاق.

المحكمة الجنائية الدولية جعلت «التجنيد الإلزامي أو الطوعي للأطفال دون الخامسة عشرة من العمر في القوات المسلحة أو جماعات مسلحة أو استخدامهم للمشاركة فعليا في الأعمال الحربية «جريمة حرب.

لم توثق الشبكة السورية لحقوق الإنسان أية حالة حمل سلاح لأطفالٍ دون سن ال١٥ ولكن هناك أدلةٌ وحالاتٌ موثقة لمشاركتهم في أعمالٍ غير قتالية.

إدانة وتحميل المسؤوليات: إن كل فعلٍ غير مشروع دولياً تقوم به الدولة يجرُّ خلفه المسؤولية الدولية لتلك الدولة. وبالمثل، فإن القانون الدولي العرفي ينص على أن الدولة مسؤولةٌ عن جميع الأفعال التي يرتكبها أفراد قواتها العسكرية والأمنية. وبالتالي فالدولة مسؤولةٌ عن الأفعال غير المشروعة، بما في ذلك جرائم ضد الإنسانية، التي يرتكبها أفراد من قواتها العسكرية والأمنية.

إن حظر الجرائم ضد الإنسانية هي من عداد القواعد الآمرة أو قاعدة قطعية، ومعاقبةُ مثل هذه الجرائم هو عملٌ إلزاميٌّ بحسب المبادئ العامة للقانون الدولي. وعلاوةً على ذلك، فإن الجرائم ضد الإنسانية هي ذروة انتهاكات حقوق الإنسان الأساسية، مثل الحق في الحياة وحظر التعذيب أو غيره من ضروب المعاملة القاسية

والمهينة. ووفقاً لمبادئ مسؤولية الدولة في القانون الدولي، تتحمل الجمهورية العربية السورية المسؤوليةَ عن مثل هذه الجرائم والانتهاكات، وتتحمل واجب ضمان معاقبة المرتكبين بشكلٍ فرديٍّ، وواجب تقديم التعويض للضحايا.

وإننا في الشبكة السورية لحقوق الإنسان نُحمّل كافة الانتهاكات التي حصلت من قبل القوات الموالية للحكومة السورية على الحكومة السورية لقائد العام للجيش والقوات المسلحة بشار الأسد، وعلى جميع قادة الأجهزة الأمنية وجميع الداعمين مادياً ومعنويا لتلك القوات، حيث تقع عليهم جميعاً التبعات القانونية والقضائية والمادية للضحايا وذويهم، إضافةً إلى كافة ردات الفعل التي سوف تصدر من ذوي الضحايا أو أصدقائهم.

كما أننا ندين الانتهاكات التي وقعت من بعض فصائل الثوار المسلحين ويتوجب على الحكومة المؤقتة أن تتحمل مسؤولياتها في هذا الصدد.

التوصيات: مجلس حقوق الإنسان:

١. مطالبة مجلس الأمن والمؤسسات الدولية المعنية بتحمل مسؤولياتها تجاه مايحصل لأطفال الشعب السوري من قتلٍ واعتقالٍ واغتصابٍ وتهجير.
٢. الضغط على الحكومة السورية من أجل وقف عمليات التعذيب، ومطالبتها بالإفراج عن جميع الأطفال، والكفِّ عن الضغط على أهاليهم عبر اعتقالهم وتعذيبهم.
٣. تحميل حلفاء وداعمي الحكومة السورية —روسيا وإيران والصين– المسؤولية المادية والأخلاقية عن ما يحصل لأطفال سورية.
٤. إيلاء اهتمامٍ وجديةٍ أكبر من قبل مجلس حقوق الإنسان تجاه الوضع الكارثي للطفولة في سوريا.

مجلس الأمن:

١. اتخاذ قرارٍ بإحالة كافة المتورطين والمجرمين إلى محكمة الجنايات الدولية.
٢. تحذير الحكومة السورية من تداعيات السلوك العنيف والقتل الممنهج وإرسال رسائل واضحةً في ذلك.

الجامعة العربية:

١. الطلب من مجلس حقوق الإنسان والأمم المتحدة إعطاء هذه القضية الخطيرة حقها من الاهتمام والمتابعة.
٢. الاهتمام الجدي والبالغ بهذه القضية، ووضعها في دائرة العناية والمتابعة الدائمة ومحاولة الاهتمام ورعاية الأطفال ومحاولة تأهليهم نفسياً ومادياً وتعليمياً.
٣. الضغط السياسي والدبلوماسي على حلفاء الحكومة السورية الرئيسيين –روسيا وإيران والصين– لمنعهم من الاستمرار في توفير الغطاء والحماية الدولية والسياسية لكافة الجرائم المرتكبة بحق الشعب السوري، وتحميلهم المسؤولية الأخلاقية والمادية عن كافة تجاوزات الحكومة السورية.

الحكومة الانتقالية:

١. الاهتمام المستحَق في هذه القضية إعلامياً وسياسياً، وطرحها بشكلٍ متواصل، وإثارتها في مؤتمرات أصدقاء سوريا.
٢. الطلب من مجلس حقوق الإنسان ومجلس الأمن والجامعة العربية إيلاء المسألة ما تستحقها من متابعةٍ واهتمام.
٣. تشكيل لجانٍ مختصة لمتابعة أحوال أهالي المعتقلين والتخفيف عنهم ورعايتهم مادياً ومعنوياً .
٤. تشكيل لجان رعايةٍ وتعليمٍ وتدريب، لتقديم الدعم المعنوي والنفسي لتأهيل الأطفال ضحايا التعذيب والاغتصاب والتهجير.
٥. إدانه ومحاسبة ومتابعة مرتكبي أعمال التجنيد من بعض الفصائل المسلحة المعارضة.

التقرير الأساسي يحتوي مجموعةً من المرفقات والملحقات، وهي عبارةٌ نماذج وعينات حول انتهاكاتٍ واسعةٍ وممنهجةٍ في جميع المحافظات السورية ضد الأطفال من أبناء الشعب السوري، المرفقات عبارة عن مجموعة حالات موثقة بالاسم والزمان والمكان، و توصيف مختصر وفيديو.

الدفاع المدني في سوريا.. هل ينتقل من العفوية إلى الحرفية؟!

خاص: حنطة تحقيقات

على مدار أسبوع قامت وحدة الدعم والتنسيق، بالتعاون مع المنظمة السورية للطوارئ والمجالس المحلية في محافظة إدلب، بإقامة دورة تدريبية لفرق الدفاع المدني في المحافظة، حيث تم التنسيق مع أكاديمية تركية مختصة لتدريب وتأهيل كوادر الدفاع المدني، استهدفت الدورة ما يقارب خمسةً وعشرين كادراً من رجال الإنقاذ العاملين في مدن إدلب، ليتم تأهيلهم وتزويدهم بمعدات احترافية، تمكنهم من الانتقال بالعمل من الفردية والعشوائية إلى العمل المنظم والممنهج. كان فريق مجلة حنطة مرافقاً لأعمال هذه الدورة على الحدود السورية التركية حيث قام ببعض اللقاءات مع المشرفين والمتدربين.

المتدرب محمد من جسر الشغور أكد أن المهارات التي اكتسبها مع فريقه في هذه الدورة، ستسهل كثيراً من عملهم داخل سوريا، وأن الطرق الجديدة التي تم التدريب عليها أكسبتهم العديد من الأساليب المنظمة لاكتشاف المصابين،

عدسة بحر عبد الرزاق

وإطفاء الحرائق، وكيفية استخراج المصابين من تحت الأنقاض، والتعامل مع الجرحى، وتقديم الإسعافات اللازمة.

أشار محمد إلى أن عدداً من المهارات التي تم التدريب عليها، هي تلك التي تعتمد على التجهيزات الحديثة كون سوريا تفتقر لوجستياً إلى الأدوات المتطورة، يقول:(لكن حتى لو كان هناك نقص في الأدوات، فإننا على الأقل استطعنا التعرف على طرق مبسطة لتوظيف أبسط الأدوات). يتابع محمد: (تلقينا معلوماتٍ نظرية كنا نفتقر إليها، بالإضافة إلى الممارسة الفعلية لعمليات الإنقاذ في أجواء مناسبة باستخدام مجسمات ووسائل مساعدة تشابه إلى حد كبير من حيث المواد والأحجام و البنى تلك التي نتعامل معها في الواقع، كما أن المعدات التي حصلنا عليها إثر تلقينا لهذه الدورة ستساعد بشكل كبير في رفع كفاءة العمل.)

أما حسن فقد قال بأنه تلقى اتصالاً من أحد أعضاء المجلس المحلي في منطقته، ليخبره بأنه يستطيع الالتحاق بدورة الدفاع المدني، التي ستمكنه من القيام بدوره في إنقاذ المصابين والجرحى من تحت الأنقاض بشكل أفضل، وإيصالهم إلى ما بعد مرحلة الإسعافات الأولية، وهذه هو الدور الذي كان يتمنى أن يشغله بكفاءةٍ أكبر. مكنته هذه الدورة من اكتساب خبرات لمساعدة المدنيين، وأكد:(إن الوضع مأساويٌّ جداً داخل سوريا، فيما يتعلق بعمليات إنقاذ المدنيين من تحت الأنقاض، حيث هناك فقر في الخبرات والمعدات وحتى على صعيد التحايل على النواقص في كل ما يلزم في حالات كهذه، فالمجهود غالباً يكون فردياً وعشوائياً ويقوم دون الاستناد على أية معلومةٍ صحيحة فيما يتعلق بهذا النوع من الأعمال).

أما عبد الرحمن فقد اختار الحديث عن جوانب أخرى: (طبعاً نحن في سوريا لا نمتلك قدرةً على التعامل مع أوضاعٍ خطرةٍ كهذه، لا على الصعيد الشخصي، ولا حتى على صعيد الفرق. اختبرنا هنا حالة الانسجام في الفريق وأهميتها، من حيث العمل معاً وفق نظامٍ موحَّد يؤهل الفريق لتحقيق نتائج أفضل، ويساهم في تقليل نسب الإصابات أو الوفيات. عموماً كان لدينا أسلوبٌ خاطئ في انتشال المصابين، خاصةً فيما يتعلق بالحفريات، حتى أننا تعرفنا إلى طرق التفاعل مع المصاب العالق تحت الأنقاض، كيف نخاطبه ونوجهه، وكيف نكرّس كافة المهارات لتخفيض الوقت اللازم استخراج الجرحى. قدم لنا المدربون الأتراك معلوماتٍ احترافية أظن أنها ستغير كثيراً في أسلوب عملنا في الإنقاذ نحو الأفضل. كنا في سوريا نتعامل بشكلٍ عاطفيٍّ مع عملية الإنقاذ، مما كان يؤثر سلباً على النتائج المرجوة).

عدسة بحر عبد الرزاق

رامي وهو أحد المتدربين أيضاً: (تعلمنا أن نعمل في الفريق كرجلٍ واحد، وككتلةٍ من الاتساق، لمنع حالة الفوضى، وتفادي خسارة الوقت الذي يشكل العامل الأخطر في عملياتٍ كهذه. في سوريا نتعرض يومياً للقصف، وبسبب الأخطاء الناتجة عن قلة الخبرة كنا قد نتسبب للمصاب بحالةٍ من الشلل مثلاً إثر إخراجه، ما تعلمناه هنا يمكن أن يجنبنا خطأً قاتلاً كهذا. كنا نتمنى لو أننا حصلنا على المزيد من الوقت لتعزيز هذه الخبرات، تعلمنا الكثير حول إخراج المدنيين العالقين تحت الخرسانات، وكيفية التعاطي مع الحرائق وحالات الاختناق، والإسعافات الأولية، وغيرها من الخبرات التي تشكل فارقاً كبيراً حين وقوع القصف وانطلاق الفريق إلى أرض الحدث، وبالطبع تلقينا الكثير من المعلومات التي تفيد أفراد الفريق في كيفية الحفاظ على سلامتهم الشخصية، وتحول دون التصرف بشكلٍ فوضويٍّ أو انفعالي يؤدي إلى تضاعف نسب الخطر، ووقوع أحد أعضاء الفريق في مأزقٍ يعيق العمل، أو يودي بحياته و يؤخر عملية الإنقاذ بحد ذاتها، محولاً الفريق أو أحد أعضائه إلى عائق إضافي، بدل أن يكون هو المنقذ).

أما رائد صالح رئيس الدفاع المدني في إدلب فقد قال: (تم التنسيق للدورة عن طريق المجالس المحلية في إدلب، بالتواصل مع المنظمة السورية للطوارئ. أجريت عدة مقابلات في سوريا لاختيار المرشحين لهذه الدورة بما يتلاءم مع إمكانياتهم وقدرتهم على العمل، حيث تنطلق أهمية هذه الدورات من خلال تكثيف المعلومات والتدريب على كيفية انتشال الجرحى والمصابين والعالقين من المدنيين من تحت الأنقاض. فيما سبق كان هناك الكثير من الأخطاء في طرق العمل، مما كان يؤدي أحياناً إلى وفاة المدني المستهدف من هذه العملية بدل إنقاذه، أو التسبب له بنوعٍ من الشلل، هنا اكتسب الجميع الخبرات اللازمة في استخرج الجرحى ونقلهم بأفضل الطرق وأكثرها أماناً. بدأت قوات النظام مؤخراً باستخدام أنواع جديدة من البراميل مثلاً، صارت تتسبب بنسبٍ هائلةٍ من الدمار، وتكون الإصابات في هذه الحالة تحت الأنقاض أكثر خطورةً، مما صعّب طبيعة العمل بشكلٍ كبير).

كما أشار صالح إلى أن أكثر ما يتم الافتقار إليه اليوم من المعدات المساعدة هي سيارات الإسعاف والإطفاء، أو حتى السيارات التي يمكن أن تخدم فريق الإنقاذ نفسه، للمساعدة في الوصول السريع وتحميل المعدات. وقال بأن المعدات التي حصلوا عليها إثر هذه الدورة ستمكنهم من تحسين أدائهم والحصول على نتائج محققة بنسبة ٨٠٪.

و إجابةً على سؤالٍ حول قبول وتعاون المجتمع المحلي مع فرق الدفاع المدني، فقد قال: (هذه التجربة هي جديدةٌ من نوعها،لا يخلو الأمر من عدة صعوباتٍ، منها إبعاد المدنيين من منطقة الحدث، والتعامل مع أهالي المصابين والعالقين تحت الأنقاض، والتفاعل معهم ومع قلقهم وانفعالهم، و يعتبر هذا أمراً طبيعياً في حالات كهذه).

رزان شلب الشام المديرة التنفيذية للمنظمة السورية للطوارئ أوضحت: (دورنا في هذه الدورات هو التفاعل مع الداعمين لمشروع الدفاع المدني في سوريا، مهمتنا تكمن في التنسيق بين المجالس المحلية في الداخل، لاختيار عناصر الدفاع المدني، ليصار إلى تأهيلهم وتجهيزهم بالمعدات. تأتي أهمية هذه الدورات على الصعيد الإنساني، من حيث وجود عدد كبير من الأخطاء في عمليات الإنقاذ المرتجلة على الأرض)

معتصم أبو الشامات مسؤول الدفاع المدني في وحدة تنسيق الدعم (ACU) أكد لحنطة: نحن نخطط الآن للعمل مع فرق الدفاع المدني ومساعدتها للعمل في داخل سوريا. الآن وقد أصبح هناك العديد من الفرق والمجموعات التي تعمل في سوريا للدفاع المدني، هدفنا أن نعمل مع هذه الفرق، التي تواجه قصف النظام ومهام استخراج المصابين من تحت الأنقاض، وتنظيم طرق عملها، وقد أنهينا حتى الآن خمس دوراتٍ في هذا المجال بالتعاون مع الداعمين، اثنتان من هذه الدورات كانت لصالح محافظة حلب، واثنتان لمحافظة إدلب، وواحدة لمحافظة الرقة).

عن «الإخوان المسلمين» و«الإخوان العلمانيين» في مصر وغيرها

لا فصل بين الديموقراطية والليبرالية

ماجد كيالي

بعيداً عن المعنى المباشر للصراع الجاري على السلطة في مصر، والذي يتضمّن نزع الشرعية عن حكم حركة الإخوان المسلمين، فإن هذا الصراع يرتبط، بأبعاده العميقة والبعيدة، بالصراع على معنى الدولة والديموقراطية والمواطنة، المتأسّسة على الحرية والمساواة والكرامة، من دون أي تمييزٍ بين المواطنين، وهذا الكلام ينطبق على التيارات الدينية كما على التيارات المدنية.

القصد أن ما يجري في مصر ينضوي في إطار تعزيز، أو إنضاج، فكرة الديموقراطية بحمولاتها الليبرالية، المتعلقة بتكريس مفهوم المواطن، الفرد/ المستقل، والحريات الشخصية والعامة، والمساواة بين المواطنين، واعتبار الدولة مجالاً عاماً، وليس مجالاً حزبياً، يحتكره الحزب الحاكم، أو حزب الأكثرية، أياً كانت خلفيته، علماً أن هذا الأمر لا يتعلق فقط بالإخوان المسلمين، وإنما يشمل مجمل التيارات السياسية الليبرالية واليسارية والقومية والعلمانية، في مصر وفي العالم العربي.

وهذا الفهم لدولة المؤسسات والقانون والديموقراطية، القائمة على الفصل بين السلطات، وتداول السلطة، هو لصالح الجميع، الأكثرية والأقلية، لأن الأكثريات والأقليات السياسية تخضع للتغيرات، فالحزب الذي يحقق أكثريةً ما في انتخاباتٍ معينة، قد يتحول إلى أقليةٍ في انتخاباتٍ أخرى. عدا عن ذلك، فإذا كان من حق حزبٍ ما أن يحتكر السلطة، وأن يتحكم بالتوجهات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في مرحلةٍ معينة، فهذا لا يمنحه الحق بالتحكم بجهاز الدولة، أو بصوغه حسب مزاجه السياسي. هذا هو معنى أن الديموقراطية لا تقتصر على مجرد عملياتٍ انتخابية، وأن تحقيق أكثريةٍ في انتخاباتٍ ما لا يعني التحكم بالدولة والمجتمع، وصوغهما على مقاس الحزب الحاكم. وهذا هو معنى الكلام عن الدستور، واعتبار الحرية والمساواة والكرامة والعدالة وتكافؤ الفرص بين المواطنين قيماً فوق دستورية.

هذه المشكلة تبدو مستفحلةً عندنا بسبب عدم هضم الديموقراطية لمسألة الحرية الفردية، أو بسبب الفصل بين الديموقراطية والليبرالية، في حين انها تبدو أقل حدّية في الدول الديموقراطية في الغرب، بسبب أن ديموقراطيتها مطعّمة بقيم الليبرالية، المتعلقة بضمان الحريات الفردية والعامة، وحياد الدولة إزاء الأكثريات والأقليات السياسية، ولكونها أنجزت تحولاتها نحو الليبرالية قبل التحولات الديموقراطية، علماً أنه لا يوجد نظامٌ سياسيٌّ كاملٌ أو نزيه، لكن هذا هو النظام الأمثل الذي دلّت عليه خبرة البشرية، في مجال النظم السياسية، حتى الآن.

راهناً، وبخصوص ما يجري في مصر، فمما لا شكّ فيه أن ثمة مشكلةً في فهم الإخوان المسلمين للديموقراطية، ولمعنى الدستور، والمواطنة، والحريات. لكن التجربة لم تثبت أن التيارات القومية واليسارية والعلمانية، كانت أفضل حالاً في تمثلها لمقاصد الديموقراطية والدستور والحريات في الأنظمة التي تسيّدت فيها، في العالم العربي أو في البلدان الأخرى. ولا شكّ أن «الإخوان المسلمين»، في مصر وغيرها، أخطأوا في مجالاتٍ عديدة، لكننا في غضون ذلك ينبغي أن نكون واضحين، ومنصفين، إذ لا ينبغي أن ننسى أن النظم «القومية» و«اليسارية» هي، أيضاً، أسهمت في تكريس الاستبداد والتسلط، وتهميش الدولة والمجتمع، وتقييد الحريات، وتأخير قيام دولة المؤسسات والقانون والمواطنة في عديدٍ من بلدان العالم العربي؛ وهذه هي الملاحظة الأولى.

الملاحظة الثانية، وعلى ضوء ما يجري في مصر، والاستقطاب الحاد، بين مؤيدٍ لحكم الإخوان والمعارض له، ثمة مخاطر من تفشّي نوعٍ من الخطابات التي تتأسس على التشكيك والتهميش والإقصاء وكراهية الآخر والإلغاء. فهذه اللغة العدائية والعدمية، مضرّة، وغير مفيدة، في الصراعات السياسية، وهذا ينطبق على التيارات الدينية والمدنية. ومعلومٌ أن هذه اللغة أصلاً هي من نتاج العقليات والنظم الاستبدادية، وهي لغةٌ من المفترض نبذها والثورة عليها، لأنها تتنافى مع الحرية والمساواة والديموقراطية، ولأنها تؤدّي إلى ترسيخ الانقسامات المجتمعية، كما تؤدي الى قيام علاقاتٍ عدائيةٍ تغذي التطرف والعنف.

الملاحظة الثالثة، وهي أن تيارات الإسلام السياسي تتحمّل مسؤوليةً عما جرى، كونها تبوأت السلطة، عبر الانتخابات، في مصر (كما تونس)، ولكنها تصرفت وكأن المجتمع ملك يديها بمجرد رفعها راية الإسلام، الأمر الذي أغراها بعدم الالتفات للقوى الأخرى، والتسرّع في محاولاتها بسط هيمنتها على الدولة والمجتمع، ما أوقعها في مشكلاتٍ عديدة، وأسهم في عزلها، وتراجع شعبيتها. وعدا عن تسرّعها، وعدم استفادتها من

التجارب الماضية، وظنّها أن الطابع الديني يحميها من النقد، والمساءلة، فإن خطأ التيارات الاسلامية، كغيرها من التيارات الحاكمة التي سبقتها، والتي برّرت نفسها بأيديولوجيات مطلقة، يكمن في محاولتها الهيمنة على الدولة وتحويلها من مجالٍ عام إلى مجالٍ حزبي، وفرض وجهات نظرها على المجتمع بوسائل قسريةٍ وزجرية، واعتبار ذاتها تحتكر الحقيقة، ووضع المنتسبين إليها فوق المجتمع.

الملاحظة الرابعة، وبغضّ النظر عن كيفية سير الأمور، فإن الشعب المصري بات اليوم يعيش حالاً من الانقسام، بين مؤيدٍ لحكم الإخوان ومعارضٍ لهذا الحكم، وهذا يعني أن ثمة أزمةً سياسيةً بلغت مرحلة الاستعصاء. لكن ينبغي الانتباه، على الرغم من كل ذلك، أنه لا حلّ لهذا الاستعصاء البتّة بالطرق غير السياسية، لأن طريق العنف يعزّز الانقسام السياسي، ويودي بالدولة، ويفضي إلى تشقّق المجتمع، وأيضا لا حلّ ناجز بالعودة إلى حكم العسكر، لأن ذلك يعيد إنتاج التجارب المريرة، وربما إنتاج دورةٍ جديدة للاستبداد. والمقصد أنه لامناص من البحث عن حلولٍ سياسية للأزمة في مصر، وهذا لايضير الإخوان المسلمين، إن أرادوا الاستفادة من هذه التجربة، وإن أدركوا أهمية تجاوز المخاطر التي يمكن أن تنجم عن العناد بالاستمرار بالتشبث بالسلطة بعد كل ماجرى، حتى لو كانوا يمتلكون أكثريةً ما، بغض النظر عن صحة ذلك أو عدمه.

والواقع فإن الدول والمجتمعات التي تتمتّع بحيويةٍ سياسية لا يضيرها التوجّه نحو استفتاء الشعب، ولا حتى التوجّه نحو انتخاباتٍ مبكّرة، لحسم خلافاتها وانقساماتها في لحظات الاستعصاء، فحتى في اسرائيل حدث ذلك مراراً. لكن حتى لو تم التوجه نحو هذا الخيار أو ذاك، فإن الجميع معنيٌّ بالاستفادة من هذا الدرس، باعتبار أن مصر لجميع المصريين، وأن شعب مصر لم يعد يُحكم بالطريقة السابقة، وأن الحرية والمساواة والكرامة قيمٌ عليا لا ينبغي المسّ بها، ولا التمييز بشأنها بين المواطنين، ولا لأيّ سبب، هذا ينطبق على مصر وعلى غيرها، وعلى الاخوان المسلمين والإخوان العلمانيين.

حكاياتٌ أخرى عن النزوح

رفيق هادي

خاص حنطة

مع تزايد وتيرة الحرب الدائرة في سورية، باتت مدنٌ وأحياءٌ وبلداتٌ كاملة تنتقل بسكانها إلى أحياء مجاورة أو قرية نسبياً، فإذا ما مشيت في شوارع جديدة عرطوز لا بد لك أن تجد أبناء داريا وعرطوز ونازحي الجولان وغيرهم الكثير، ولكن كل هؤلاء لم يغيروا شيئاً في الحياة الرتيبة لجديدة عرطوز، البلدة الواقعة على بعد ثمانية كيلو متراً إلى جنوب العاصمة دمشق.

وحدهم الفلسطينيون صاروا هناك حكاية البلدة.. مخيم خان الشيح الريفي لم يكن أهله يعلمون أن نيران الحرب والمعارك الدائرة في سورية، ستحملهم للجوءٍ ونزوحٍ جديدين، فمنذ أن تمركزت قوى المعارضة والثورة في مزارع خان الشيح المحيطة بالمخيم، بات المخيم هدفاً لقوات النظام السوري، من قصفٍ وحصارٍ وتهجير، لتبدأ مأساة ثاني أكبر المخيمات الفلسطينية في سوريا.

أهالي المخيم الذين تشردوا لم يتباكوا كثيراً، رغم نزوح أكثر من سبعمائة عائلةٍ إلى جديدة عرطوز القريبة من المخيم، حيث تجد هناك حكايةً أخرى قديمةً جديدة عن الفلسطيني الحامل لنزوحه الأول ليعيش نزوحاتٍ متتالية، بيد أن الأخيرة التي يعيشها أهالي مخيم خان الشيح لها ملامح أقسى بسبب حالة التهميش واللامبالاة من قبل الأونروا والفصائل الفلسطينية، أو تلك التي من المفترض أن تُعنى بشؤون الفلسطيني أينما تواجد (منظمة التحرير).

ويُضاف إلى هذه المعاناة استغلال أهالي الجديدة ذلك الهاربَ من الموت، برفع أسعار إيجار البيوت، ناهيك عن التمييز ضد هذا الهارب الفلسطيني، خائفين من انتقال شبح الحرب خلفه إلى المدينة التي عاشت أحداثاً هامشيةً في الثورة، مقارنةً بما حلَّ في قرى ومدن وبلدات سوريا.

هنا ستجد البدو الذين كانوا يفترشون الصحاري في فلسطين قبل أن يسكنوا بيوتاً بسيطةً في أقرب مخيمٍ لها، ستجدهم صاروا يتصاعدون عامودياً. في الجديدة مخيمٌ عامودي ينمو كطوابقَ تتسابق في حكاياته نحو السماء، أحلامٌ وانكساراتٌ وأمل في العودة إلى مخيمٍ أول يفوح برائحة الوطن الأم.

وفي جديدة عرطوز، ستجد ذات الشوارع والحارات التي حملت أسماء عائلات قاطنيها في مخيم خان الشيح، وكذلك الوجوه التي لا تموت كمعالم المخيم، متوزعةً في زوايا الطرق، فحارة الخوالد تجمعت في أحد أحياء جديدة عرطوز، وحارة المواسي، وغيرهما.

الفلسطينيون من أهالي مخيم خان الشيح لا ناقةً لهم ولا جمل في المعارك التي اندلعت في محيط المخيم، مخلفةً دمار أكثر من ثلاث مائة منزلٍ داخله واستشهاد حوالي خمسين شخصاً من أهله، وعشرات الجرحى، وحُمِّل سكانه على مغادرته دون أن يغادرهم، إذ حملوه معهم وأتوا كما المسيح الفلسطيني المصلوب إلى جديدة عرطوز، لا ليُصلب هنا، إنما ليقول أن المخيم لا يموت...

في جديدة عرطوز، سوق الخضار لم يعد إلا سوقاً لمخيم خان الشيح، وبعض الباعة من نازحي داريا. باعةٌ آخرون منتشرون على رصفته هم ذاتهم الذين كانوا يفترشون اطراف الطريق في سوق خان الشيح، ليبيعوا ما تيسر لهم لإيجاد لقمة العيش الكريم.

لن تحتاج كثيراً لتفكر أين ستحلق، إذ إنك ستجد ابن المخيم وقد افتتح محله الجديد على أطراف شارع البلدية، وستجد ملحمة العمري، وسوبر ماركت ثائر الخالدي ذاتها، وحين تعطش ستجد صهاريج مياهٍ من المخيم هناك، وإن كان السعر أغلى وأعلى من أسعاره في المخيم.

في المساء ستجدهم يحتلون الحدائق العامة، التي لم يعرف النازحون الجدد مكاناً قبله يجتمعون فيه ليناقشوا مجريات وأحداث الثورة وتطوراتها بأصواتٍ خافتة، وليتذمروا من المعاملة التي يلاقونها من أهالي الجديدة، مستحضرين مقارنةً بينهم وبين هؤلاء المضيفين، وبينهم هم أبناء المخيم الذي تخلى عن دراسة أبنائهم ليستقبلوا في مدارس الأونروا اخوانهم السوريين والفلسطينيين المهجرين، ناهيك عن حجم المساعدات التي قدموها لأكثر من مائة ألف مهجَّرٍ ونازحٍ احتضنهم المخيم وبيوته ومدارسه، وتقاسم معهم آلامهم وأحلامهم ورغيف الخبز طوال عامٍ وأكثر.

حين تتأزم الاوضاع داخل المخيم المحاصر، تجد جميع أبناء المخيم قد تحولوا لغرف عملياتٍ للاتصال مع من بقي في المخيم. ستجد الرسائل والاتصالات تصرخ بوجع المخيم.. سقط شهيدٌ الآن، دُمِّر منزل، وهناك جرحى، ويبقى المخيم حاضرا بهم.

ورغم تفاصيل الأسى التي يعيشها اللاجئ الفلسطيني النازح الجديد، إلا أن رسالةً تبعث على الأمل سرعان ما تتلقفها حين تجول في جديدة عرطوز، وهي أن الفلسطيني أينما حل وكيفما كانت طريقة تواجده في المكان، تحل معه الحياة التي يُصِرُّ على الاحتفاظ بها كثيراً، كيف لا؟ وهي تحمل في ثناياها أحلام عودتين عودةٌ إلى المخيم تسبق العودة الأخيرة إلى أرض الأجداد.

خاص حنطة

(الخير يجمعنا)
حملة وحدة تنسيق الدعم الإغاثية

وحدة تنسيق الدعم، التي تسعى للعمل لسوريا آمنة ومستقرة، وتقديم المساعدات الإغاثية العاجلة للمناطق المتضررة، بشكل مفصول عن العمل السياسي الذي يقوم به الائتلاف الوطني، والتزاماً منها بمبدأ التنسيق وتفعيل عمليات الإغاثة الإنسانية، أطلقت حملة (الخير يجمعنا) الإغاثية، وذلك بالتعاون مع منظمات غير حكومية محلية، ناشطة على الأرض في مجال الإغاثة في أكثر من قرية ومنطقة، ومن المشهود لها بالشفافية والكفاءة، والتي هي: مكتب كوباني للإغاثة، جمعية ثوار صلاح الدين للإغاثة، جميعة الأبرار للإغاثة، جمعية الفرات الخيرية، إتحاد السوريين في المهجر، هيئة الإغاثة في معرة النعمان، جمعية الفرقان، إدارة مخيم اليمضية، المكتب الإغاثي الموحد في دير الزور، جمعية البر والخدمات الإجتماعية، المكتب الإغاثة في الطبقة، جمعية أهل الأثر، جمعية بهار، منظمة وطن، مؤسسة الرعاية الإنسانية/سوريا، فلوكا الحرية، الهيئة العامة للدفاع المدني في درعا، مؤسسة مرام للإغاثة، جمعية مسرات للإغاثة والتنمية.

وقامت المنظمات المشاركة بالحملة مع وحدة تنسيق الدعم بالتوقيع على مذكرات تفاهمٍ تضمن تنفيذ أهداف الحملة، التي تتلخص بـ:

١- ايصال المساعدات الإغاثية إلى المناطق الأشد حاجةً داخل الأراضي السورية.

٢- الوصول إلى خارطة إغاثية توضح المناطق المستهدفة من كل منظمة، بحيث تقل نسبة تكرار الدعم في بعض المناطق وإهمال مناطق أخرى.

٣- الاستفادة من المعلومات المقدمة من وحدة إدارة المعلومات في وحدة تنسيق الدعم لضمان توزيع أمثل للموارد المتوفرة.

٤- تمكين المبادرات المدنية الإغاثية في المناطق المحاصرة.

٥- توحيد صفوف المنظمات غير الحكومية المحلية في سوريا، وتنسيق العمل فيما بينها بالشكل الذي يزيد من فعاليتها.

٦- تعتبر الحملة مفتوحة لاستقبال جميع المنظمات غير الحكومية المهتمة في حال موافاتها لشروط الانضمام إلى الحملة.

وتم التأكيد على عدم استخدام الموارد التي تدخل ضمن إطار الحملة لأغراض سياسية أو عسكرية أو طائفية.

تتلخص آليات عمل الحملة بـ:

- تقديم سلل غذائية ومساعدات مادية بحسب قدرة كل منظمة والنطاق الجغرافي الذي تغطيه.

- توزيع السلل الغذائية والمساعدات المادية ضمن النطاق الجغرافي المحدد، والالتزام بخطط التوزيع التي تم التوافق عليها.

- يحق لكل منظمة مشاركة توزيع جزء آخر من المساعات خارج إطار الحملة، شريطة الالتزام بخطط توزيع الحملة لتفادي التكرار أو الإهمال.

وضمن المرحلة الأولى من الحملة ساهمت كل من المنظمات المشاركة على النحو التالي:

- مؤسسة مرام: ٥٠٠ سلة غذائية، و١٥٠ سلة من وحدة تنسيق الدعم، تم توزيعها في ريف حماه (خفسين، محارتين، شعاتة، تمانعة) بالإضافة للعائلات النازحة في إدلب (شنشراح وسرجيلا).

مستودعات وحدة تنسيق الدعم

- مؤسسة عطاء للإغاثة والتنمية: ١,٨٠٠ سلة غذائية، و١,٠٠٠ سلة من وحدة تنسيق الدعم، تم توزيعها في دير الزور (الميادين، البوكمال).

- جمعية أهل الأثر: ١,٠٠٠ سلة غذائية، و١,٠٠٠ سلة من وحدة تنسيق الدعم، يتم توزيعها في دير الزور (هجين، عشارة، البصيرة).

- مؤسسة الرعاية الإنسانية/سوريا: ٧٥٠ سلة غذائية، و٥٠٠ سلة من وحدة تنسيق الدعم، تم توزيعها في حلب (ريف المهندسين)، وحماه (الحمراء، كرنا، ريف المحردة، عقيربات).

- جمعية مسرات استلمت ١,١٠٠ سلة غذائية من وحدة تنسيق الدعم، تم توزيعها في مدينة حلب (جبل بدرو، الأنصاري، الفردوس، الصالحين وبستان القصر).

- اتحاد الهيئات الإغاثية في حلب وريفها: ٥٠٠ سلة غذائية من وحدة تنسيق الدعم، تم توزيعها في مدينة حلب (طريق الباب).

- منظمة وطن/مؤسسة سوريا الخيرية (خير): ٥٠٠ سلة غذائية، تم توزيعها في حماه (سهل الغاب).

- منظمة فلوكا الحرية: ٧,٣٠٠ سلة غذائية، تم توزيعها في اللاذقية (جبل الأكراد والتركمان) بالإضافة للعائلات النازحة من ريف اللاذقية إلى تركيا.

- جمعية بهار بـ ١,٠٠٠ سلة غذائية، و٥٠٠ سلة من وحدة تنسيق الدعم، لتوزع في محافظة حلب (عفرين).

كما تم التوقيع على مذكرة تفاهم خاصة مع الهيئة العامة للدفاع المدني في درعا بقيمة ٤٠,٥٠٠ أربعون ألف وخمسمائة دولار أمريكي، حيث بدأ توزيعها على ١,٠٠٠ عائلة من العائلات الأشد ضعفاً في درعا البلد كبدل نقدي للسلة الغذائية، بمعدل ٤٠,٥ دولار أمريكي للعائلة.

تم أيضاً تسليم ٢٥,٠٠٠ خمسة وعشرون ألف دولار نقداً لكل من المجلسين المحليين في حي القابون وبرزة الدمشقيين، ليتم صرفها عن طريق المكتب الإغاثي التابع لكل حي على شكل سلل غذائية للعائلات.

وفيما يخص المناطق المحاصرة، والتي يمنع النظام دخول المساعدات العينية إليها والمواد الغذائية، ولا تصلها مساعدات الأمم المتحدة، يتم العمل في وحدة تنسيق الدعم بالمساعدات النقدية وبشكل مباشر.

حالياً يتم التحضير للمرحلة الثانية من الحملة، حيث ستوزع وحدة تنسيق الدعم من خلالها ١٧,٠٠٠ سلة غذائية في مناطق أخرى، أو في المناطق الأكثر احتياجاً.

دراسة مبسطة حول اضطرابات ما بعد الصدمة

جنان علي

في خضم الأزمة السورية وما واكبها من أحداث الاعتقالات والقتل والمجازر والتهجير، كان للطفل السوري النصيب الأكبر من هذه الصراعات، فما حصده في مراحله العمرية الغضة من مشاهد ضاقت بها طفولته، سيتسبب بنمو جيلٍ من التقوقع والتغرب النفسي. إذن فقد تكرست لدينا أزمة الطفل السوري وتبعاتها، ولا بد من إيجاد حلولٍ ولو كانت مؤقتةً نعيل بها حاجته للأمان والتوازن النفسي. وهنا نورد مصطلح **اضطراب مابعد الصدمة**، للبحث معاً عن إرشاداتٍ يؤخذ بها بدءً من الأهالي انتهاءً بالمختصين العاملين في المخيمات، للعمل معاً من أجل الخروج بهدفٍ واحد، وهو تفادي تبعيات الأزمة على أطفالنا ونبدأ بحثنا بتعريف لهذا المصطلح.

ما هو اضطرابُ الكرب ما بعد الصدمة؟

هو نوع من أنواع الاضطراب القلقي والذي يمكن أن ينشأ بعد التعرض لحدثٍ أليم أو محنةٍ مروعة أدت إلى وقوع أذىً جسديٍّ خطير، أو كادت أن تؤدى إلى أذىً خطير (وفقاً للجمعية الأمريكية لعلم النفس).

قد يعاني أيُّ شخص من **اضطراب الكرب ما بعد الصدمة** إذا عاش أحداثاً صادمة، مثل:

- المعارك الحربيَّة.
- الإغتصاب أو العنف الجنسي.
- الإختطاف أو الإرهاب.

باختصار، **اضطراب ما بعد الصدمة**، هو مشكلة فى نشاط الدماغ، حيث يظل يتفاعل بقلق وتوتر بعد انتهاء وقوع المحنة. يمكن الإصابة بهذا الاضطراب فى كل الأعمار، لكنه يتبدى بشكلٍ أوضح لدى الأطفال والمراهقين. ولدى الإناث أكثر من الذكور. وقبل الاسترسال فى العرض يتوجب التنبيه إلى أن مرحلة الطفولة تمتد حتى سن الـ ١٨ حسب المراجع الطبية المعتمدة. فكل ما سيشمل الطفل ها هنا يشمل المراهق أيضاً.

التغييرات الفسيولوجية التى قد تحدث للدماغ إذا ما تعرض لصدمة:

عند التعرض لخطر جسيم فان الجسم يتفاعل بإفراز الكثير من هرمونات الخطر (الأدرينالين– الكورتيزون) فيقوم الأدرينالين برفع ضغط الدم، وزيادة نبضات القلب، وليصل أكبر قدر من الدم (محملاً بالغذاء والأكسجين) للعضلات والدماغ، ويقوم الكورتيزون على زيادة نسبة السكر بالدم (غذاء الدماغ والعضلات) وكل هذه التغييرات تحدث فى دقائق معدودة، ليصل الانسان لمرحلة عالية من التفكير الجيد، والقوة الجسدية العالية، للخروج من الحدث المروع .

بعد انتهاء الحدث، يقل إفراز هذه الهرمونات ويعود كل شيء تدريجياً لطبيعته، يأخذ هذا الأمر أسابيع إلى شهر من وقت الحدث.

أما عند المصاب **باضطراب مابعد الصدمة** فان ذلك لايحدث بشكلٍ كامل، إذ تبقى نسبة الهرمونات في جسده أعلى من الطبيعي، كما تبقى أجزاء المخ المسؤولة عن الخوف وعن الذاكرة أكثر نشاطاً من الطبيعي.

يمكن أن يُصاب الشخصُ بهذا الاضطراب حتَّى إذا حصل الحدثُ الصادم مع شخص آخر (كالشخص الذي يحبُّه مثلاً)، بل إنَّه يحدث في بعض الأحيان لمجرَّد كون الشخص شاهداً على حادثٍ صادمٍ يتعرَّض له شخصٌ غريب تماماً.

عدسة علي الشيخ

لا يستطيع الشخصُ الذي تعرَّض لاضطراب الكرب ما بعد الصدمة التوقُّفَ عن التفكير بالحادث الذي تعرَّض له. كما أنَّه يعاني من الانفعالات التي عانى منها في أثناء الحادث، كالخوف أو الحزن أو الغضب. وهذه الانفعالاتُ تعيقه عن ممارسة حياته اليومية وعمله وعلاقاته الاجتماعية.

كما يسبِّب الاضطرابُ بعد الصدمة عدَّة مشاكل، تتبدى من خلال عدة أعراض.

فطفلٌ سبق أن اضطر لمواجهة حدثٍ مروع، أو شاهده، وهذا الحدث اشتمل موتاً محققاً أو كان على وشك الموت، أو الإصابة البالغة، وكانت ردة فعله أثناء الحدث الرعب الشديد أو العجز التام، بعد انتهاء الحدث عانى من التالى:

أولاً: أحد أعراض إعادة معايشة الحدث والإحساس بالتجربة مثل:

* تكرار الحلم بالحدث المروع.

* تذكر الحدث بشكل متكرر ومقتحم والحديث عنه. أو السرحان والانفصال عمن حوله.

*التصرف أو الشعور وكأن الحدث الصدمي (المروع) عائد.

*التوتر الشديد عند التعرض لأى شيءٍ يرمز إلى، أو يشبه بعض جوانب الحدث المروع،

* استجابات فسيولوجية (كزيادة ضربات القلب أو صعوبة التنفس) عند التعرض للمثيرات سابقة الذكر.

* اللعب بشكل متكرر بتمثيل الحدث (دون الاستمتاع باللعب فى حد ذاته)، أو رسم صورٍ عن الحدث بشكلٍ متكرر.

ثانياً: أحد أعراض الذهول والإنسحاب الإجتماعى مثل:

* تغير نمط حياته حيث يقل معدل اللعب.

* الإنعزال الإجتماعى وقلة النشاط الإجتماعى.

* قلة تأثّره بالأحداث المحيطة، وضعف القدرة على التفاعل مع محيطه.

* فقد بعض المهارات العقلية فيعانى من (التبول اللاإرادى – التأخر الدراسي).

ثالثاً: أحد أعـراض فرط التيقظ والانتباه:

* رهاب الليل: بأن يستيقظ الطفل من النوم ليلاً فى حالة من الرعب والبكاء.

* السير أثناء النوم.
* فقد القدرة على التركيز.
* زيادة ردة الفعل عن الطبيعي إذا ما فاجأه أحدٌ من الخلف.

رابعاً: أحد أعـراض العدوانية أو الخوف:

* اتخاذ الطفل طابعاً عدوانياً.
* الخوف والتوتر الشديد عند ابتعاده عن ذويه، والرغبة في الالتصاق بأمه.
* الخوف من الظلام.
* الخوف من أشياء لم تكن تخيفه من قبل، ولا علاقة لها بالحدث المروع.

وتشمل هذه الآثار، تقويض شعور الطفل بالأمن في محيطه الذى يعيش فيه، وكذلك يفقد الطفل الثقة أن والديه قادران على حمايته من الأذى. وهنا يجب القول بأن ترسُّخ هذا المعتقد لدى الطفل (قبل أوانه الطبيعي)، له عواقب سلبيةٌ عميقةٌ على تطور الطفل نفسياً وعقلياً. حيث أنه بمجرد ظهور أعراض هذا الاضطراب تبدأ تغييراتٌ فسيولوجيةٌ عصبيةٌ في أنسجة الدماغ المصاب.

في طفولتنا السورية معاناةٌ مصبها هذه الأحداث الصادمة، والتي لم تلقَ الرعاية المطلوبة بعد، فنحن نجهل في هذا الجانب مدى التأثير الذي نخلّفه ورائنا. هؤلاء الأطفال هم نتاج، وهم سلاحنا في نفس الوقت، ولا نريد أن ننشئ جيلَ الصدمات، بل علينا ردم مانقص من هذه الأرواح الفتية لعلنا ننهض بما تبقى لنا بمجتمع ثرنا لأجله يوماً.

من ذاكرة أبو محمود الطنبرجي

حبة بطاطا

مأمون جعبري

في تلك الظلمة، كنا محشورين خمسةً وعشرين ظلاً في أحد أقبية فرع المخابرات الجوية، سبعةٌ منا كان له علاقةٌ بالثورة السورية بشكلٍ من الأشكال، أما البقية فحُشروا لتشابه الأسماء أو للانتماء الجغرافي، وكنت أنا وصديقي العلماني من السبعة، وفي الأقبية المظلمة تتناسى الأشخاص خلافاتها الانتمائية لأن مايوحّدها أكبر، الخوف من الموت إما جوعاً أو مرضاً أو تعذيباً. ولا يستطع أياً كان أن يخفي ميوله الإجتماعية أو انتماءه المذهبي لأن الزمن مفتوحٌ لبقائك، والحقيقة تجعلك تشعر ببعض الرضا ولا تخشى من ردات الفعل، فالكل مرعوبٌ وخائفٌ من صوتٍ يصدره.

في إحدى الأماسي _افتراضاً_ حيث الظلمة كانت تعم في كل ساعات النهار، كان مايميز الأوقات لنا هو الوجبة ونوعها، وكانت وجبة المساء هي الوجبة المقدسة عند الجميع، (إنها عروس الأحلام حبة البطاطا المسلوقة)، عيوننا وقلوبنا ومعدتنا كانت تترقبها بفارغ الصبر، فهي الوجبة الوحيدة التي يمكن أن يتناولها إنسان.

يدخل المفتاح في قفل الزنزانة، وكما أثبت بافلوف في تجربته، صوت المفتاح يجعل رؤوسنا بين أفخاذنا وعيوننا تبحث بين أصابع أقدامنا التي نبحث فيها عن جديد، لأن اللحظة التي تلتقي فيها عيناك بعيني الجلاد بداية رحلة لاعودة منها في كثيرٍ من الأحيان، ويسود صمتٌ لايقطعه إلا أنفاسٌ نحاول أن نخنقها كي لانستثير كلب الحراسة، يمر الصمت لدقائق يكون حينها الكلب قائماً فوقنا يتفرس في ظهورنا المحنية ويطلق شتيمة (رأسك بالأرض ياحيوان)، وجميعنا لا يعرف من الحيوان المقصود منا. يغادر ولا تُرفع الرؤوس المحنية إلا بعد أن تجزم الآذان المترقبة لصوت القفل بأن الكلب المسعور قد غادر.

إنه اليوم الرابع لوجودي في هذه الدار الفانية، وكعادتنا التقطت آذاننا صوت المفتاح يدخل القفل وكأنه يدخل في رؤوسنا، فُتح الباب ورميت القصعات على الأرض، وانتظرنا بفارغ الصبر أن يخرج المفتاح من رؤوسنا كي تخرج عيوننا من بين أصابع أقدامنا، إنها دقائق ولكنها تمر مرور منشارٍ على جسد، يخرج المفتاح وتبدأ العيون الأجراً بالارتفاع، وللصدفة كنت أنا الأقرب إلى العروس الجاثمة في القصعة، إنها حبات البطاطا متلئلئةً على عرشها، احتضنت القصعة بمحتوياتها والعيون ترقبني بودٍ وافتراس متفاجئةً لأن العادة كانت أن الأقدم هو من يقوم بالتوزيع. جلست في وسط القلوب النابضة بخفوت وتحيط بي أربعٌ وعشرون معدةً تصدر أصوات الاستغاثة، عددت الحبات وتأملتها بشغف وحيرة، العدد أقل من عدد المعدات الحالمة وحجم الحبات غير متجانس، وسريعاً خطرت الفكرة العبقرية، قطعت العروس الحانية إلى قطعٍ متساويةٍ بعدد الموجودين، وجلت جولةً على العيون المترقبة ولمحت فيها ارتياحاً فريداً، وزعت الجميلة المقطّعة ثم وزعت أرغفة الخبز المقدسة بنفس الطريقة، دون أن أترك قطعةً في حوزتي إلا نصيبي العادل. وعندها و لولا خوفهم من كلب الحراسة القابع في الخارج، لضجت حفرة الموت التي نسكنها بتصفيقهم ولكني سمعته في قلبي. ومن حينها، عندما يأتي الاحتفال الليلي بعروس المساء ترتفع الأصوات مطالبةً أن يقوم أبو بحر(وهو لقبي) بتوزيع العروس، ضاربين تقليد السجون عرض الحائط، مسقطين أسطورة (الأقدم هو من يوزع) متناسين غير عابئين أن أبو بحر لا يشاركهم الصلوات بينما الأقدم كان يتقدمهم في الصلاة.

هكذا اصدقائي حصلت أنا أبوبحر على امتيازي بتقطيع العروس، ونثر جسدها الطاهر في المعد التي ترفع شكواها الى السماء، بأنينٍ كثيراً ماطغى على قعقعة السلاح ولكنه عجز عن الوصول إلى ضمير إنسانيٍّ ينازع.

مصطفى اسماعيل ضيف بيدر حنطة

حوار لارا صيرا

هناك قطيعةٌ بين غالبيّة المكوّنات السّوريّة، وغالبيّة المكوّنات السّوريّة هي رهينة مرحلة ولاءات ما قبل الدّولة.

انتظارنا من (الجيش الحرّ) كان التّركيز على إسقاط النظام، وليس إسقاط عفرين أو رأس العين أو كوباني أو المناطق الكرديّة الأخرى.

إنَّ حواراً سوريّاً فاعلاً وشفّافاً ومسؤولاً ينتج عنه برنامجٌ جامعٌ لا إسقاطيّ ولا باراشوتيّ، سيسهم في طمأنة الجميع، وتعزيز الشّراكة الوطنيّة الغائبة حتّى اللحظة.

ارتأيت الانسحاب من المجلس الوطني للاحتفاظ بمصداقيتي الشخصية كناشطٍ مستقل قضى في سجون نظام الأسد أكثر من قادة الأحزاب.

مصطفى إسماعيل تولد كوباني –ريف حلب– سوريا ١٩٧٣

يمارس مهنة المحاماة. له مجموعة شعرية مطبوعة بعنوان: بحيرة الغبار. تم اعتقاله لمرتين. الأولى في ٢٠٠٠ والثانية في ٢٠٠٩ حيث حكمت عليه المحكمة العسكرية بحلب/ سوريا بالسجن لسنتين ونصف على خلفية نشاطه الحقوقي وكتاباته. نال أثناء اعتقاله في ٢٠١٠ جائزة «هيلمان هاميت» العالمية لحرية التعبير التي توزعها «هيومان رايتس ووتش». أسّس في عام ٢٠٠٦ مع الأصدقاء اللجنة الكوردية لحقوق الإنسان في سوريا. عضو مؤسّس في منظمة الدفاع الدولية عام ٢٠٠٧– ٢٠١١. عضو الهيئة التنفيذية في المجلس الوطني الكردي– سوريا. عضو الأمانة العامة في المجلس الوطني الكردي. عضو لجنة العلاقات الخارجية في المجلس الوطني الكردي. عضو المكتب الإعلامي في المجلس الوطني الكردي. (عضويته في المجلس الوطني الكردي من ٢٦ أكتوبر ٢٠١١ وحتى انسحابه منه في أغسطس ٢٠١٢). ناشط وعضو في مؤسسة ثروة. عضو مؤسس للملتقى التشاوري للمثقفين الكرد السوريين المؤيدين للثورة في هولير٢٠١٣. عضو مؤسس في تجمع محاميّ كوباني. يكتب المقال السياسي والشعر والدراسات والأبحاث، باللغتين الكردية والعربية، ويترجم المقالات والدراسات من اللغة التركية إلى العربية.

١–شهدت مدينة عامودا أحداثاً داميةً مؤخراً بسبب الخلافات الكورديّة– الكورديّة، فهل طُويت هذه الصّفحة؟ أم أنّها تراجعت عن الواجهة بسبب الأحداث في رأس العين؟ وهل ترى من رابطٍ بينهما؟

لم تصل الخلافات الكرديّة– الكرديّة يوماً إلى ما وصلته في عامودا لحدّ القتل والاعتقال لمن اختلف معهم في الرّأي، فأجواء البينونة الكورديّة –سابقاً– كانت تدور في حلقة المهاترات، وتبادل الهجمات الإعلاميّة، على صفحات الجرائد المركزيّة للأحزاب الكردية، ثمّ لاحقاً على صفحات النّت.

قبل أيام اعتذر القياديّ البارز في (حركة المجتمع الدّيمقراطيّ) (الإطار السّياسيّ الذي يضمّ غالبيّة التّكوينات الأوجلّانية في سوريا) (آلدار خليل) من أهالي عامودا، في محاولةٍ لطيّ صفحةٍ دمويّةٍ سوداء، لكنّ هذا الاعتذار الشفاهي يحتاج إلى خطواتٍ عمليّة؛ كتعويض أسر الضّحايا، وإطلاق سراح المعتقلين على خلفيّة الحدث في سجونهم، والأهمّ من ذلك كلّه التعهّد بعدم إقدامهم على أفعالٍ مشابهةٍ، رداً على الاختلاف في الشّارع الكورديّ السّوري.

أمّا أحداث رأس العين وبعدها تلّ أبيض، فهي ليست للقفز فوق أحداث عامودا، بل هي متعلّقةٌ بمشروع (حزب الاتّحاد الدّيمقراطيّ) في توسيع رقعة هيمنته العسكريّة والسّياسيّة، لإنشاء منطقةٍ ذاتية الإدارة، ولا شكّ أنّ مثل تلك المنطقة لا تقبل القسمة على اثنين، لهذا كان من الضّروريّ إزاحة المجموعات المسلّحة الأخرى، وفي مقدّمتها (جبهة النصرة) أو (دولة العراق والشّام الإسلاميّة) وغيرها.

٢–في ظل التّوتر الحاصل والاقتتال الدّائر في كلٍّ من رأس العين وتلّ أبيض، هل ما يحدث هو صراع عربيّ–كرديّ؟ أم أنّه قتالٌ على تحديد مناطق النّفوذ لقوىً عسكريّةٍ لها أجنداتها الخاصّة؟

ما يجري ليس صراعاً كرديّاً– عربيّاً، هو صراع أجنداتٍ ومشاريع، أقلّه محاولةٌ من كلّ فريق (تنظيمات القاعدة من جهة، وحزب الاتّحاد الدّيمقراطيّ من جهةٍ أخرى) للسيطرة على المنطقة، من أجل التّرجمة العمليّة لمشروعيهما على الأرض، فمشتقّات القاعدة تريد إقامة إمارةٍ إسلاميّةٍ في المنطقة، و(الاتّحاد الدّيمقراطيّ) لديه مشروع إقامة حاكميّةٍ في المنطقة تحت يافطة (الإدارة الذّاتيّة)، لكن لا يمكن إغفال أنّ هناك تعبئة إعلاميّة وتحشيداً وتهييجاً من كلا الطّرفين، لنقله إلى صراعٍ عرقيّ، وأعتقد أنّنا نعيش مقدّماته، في ظلّ خفوت أصوات العقلاء وهشاشة المبادرات السّلميّة، يعمقها سكوت الائتلاف وصبّ فضائيّة (الجيش الحرّ) الزّيت على النّار عبر تبنّيها لهجمات (تنظيمات القاعدة) في المناطق الكرديّة، والبروباغاندا الحربيّة لمنابر (حزب الاتّحاد الدّيمقراطيّ)، ولجوء مشتقّات القاعدة إلى دكّ وحرق منازل المدنيّين الكرد، ويضاف إلى هذا هشاشة الاندماج الوطنيّ لدى المكوّنات السّوريّة عامةً سينقل الصّراع إلى ما لا تحمد عقباه.

٣–أثار دخول (الجيش الحرّ) بدايةً، وتبعه دخول ما يسمى بـ (دولة العراق والشّام الإسلامية) و(جبهة النصرة) للمناطق ذات الأغلبيّة الكرديّة جدلاً واسعاً، ما موقفك من هذه القضيّة؟

دخول (الجيش الحرّ) إلى بعض المناطق الكرديّة ومحاولة الدّخول إلى بعضها الآخر خطوةٌ خاطئةٌ لا مبرّر لها، ولم تخدم الخطوة لا الثّورة السوريّة ولا الجيش الحرّ، بل عمّقت الشّروخ القائمة والاحتقانات الموجودة منذ عقودٍ بين المكوّنات السّوريّة في المنطقة، انتظارنا من (الجيش الحرّ) كان التّركيز على إسقاط النظام، وليس إسقاط عفرين أو رأس العين أو كوباني أو المناطق الكرديّة الأخرى، إذا كان الهدف من دخوله إلى المناطق الكرديّة السّوريّة هو إخراج النّظام، فالنّظام غير موجودٍ في غالبيّة المناطق الكرديّة السّوريّة (ما عدا قامشلو)، والمطلوب من (الجيش الحرّ) اليوم

تصحيح مساره، وترتيب أولويّاته، والابتعاد عن كونه خرّيج مدرسة (الجيش العقائديّ) للمقبور حافظ الأسد، في السّياق السّوريّ الرّاهن لديه أولويّة لا يعلى عليها: إسقاط النظام، وفي سوريا ما بعد بشار الأسد، حين يصبح مؤسّسة دفاع وطنيّة، نتيجة عقدٍ اجتماعيٍّ سياسيّ سوريّ يمكنه نشر قطعاته على كامل المتّحد الجغرافيّ السّياسيّ السّوريّ.

٤-هل ترى في طرح دستور إدارة مؤقّتة لغرب كردستان، وموضوع الحكومة المؤقّتة بوادر حركةٍ إنفصاليّة، ومن الجهات التي تقف خلف مثل هذه الطّروحات برأيك؟

المطروح من خلال مواقع الانترنت هو مسودّة دستور لإدارة المناطق الكرديّة، وهو مطروحٌ للنّقاش، والمسودّة هي مشروع (حزب الاتّحاد الدّيمقراطيّ)، وليست مشروعاً لكلّ كورد سوريا، وهو موجه بالاعتبارات الأحاديّة لذلك الحزب، وفي كلّ الأحوال هي مسودّةٌ بائسة ومرتبكة ومتناقضة المتن، أشبه بصياغة أطفال المرحلة الابتدائيّة لموضوعٍ إنشائيّ، كما أنّ الحكومة المؤقّتة هي أيضاً أحد أطروحات (حزب الاتّحاد الدّيمقراطيّ)، دون الرّجوع إلى الأوساط الكرديّة السّوريّة الأخرى، وأعتقد أنّ أيّة خطوة مشابهة حزبيّة وأحاديّة الجانب دون الرجوع إلى المجتمع الكرديّ واعتباراته السّياسيّة والمدنيّة، ودون الرّجوع إلى الشّركاء في الوطن سيكون محكوماً عليه بالفشل، إلا إذا تمّ فرضه بالعصا، وهذا أمرٌ آخر. كمّا أن هكذا مشروع ليبصر النّور يحتاج إلى موافقة الدّول المؤثّرة في الملفّ السّوريّ اليوم وفي طليعتها تركيا، ولهذا توجّه (صالح مسلم) رئيس (حزب ب ي د) إلى أنقرة لطمأنتها وبغية نيل مباركتها.

٥- يشاع في الأوساط الكرديّة أنّ بقيّة المكوّنات السّوريّة يضعون الكورد في خانة الاتّهام في عدّة مواضيع حسّاسة، هل تعزو هذا لضعف التّواصل؟ أم أنّ هناك أسباباً أخرى؟ وكيف يمكن التّغلّب على هذه المشكلة؟

هناك قطيعةٌ بين غالبيّة المكوّنات السّوريّة، وغالبيّة المكوّنات السّوريّة هي رهينة مرحلة ولاءات ما قبل الدّولة، أو الولاءات ما قبل وطنيّة أو ما فوق وطنيّة، وغالبيّة المكوّنات السّوريّة كذلك هواها خارج سوريا، فالعربيّ يميل إلى معزوفة (بلاد العرب أوطاني من الشّام لبغدان وإلى المحيط والخليج)، والكرديّ هواه في ديار بكر وهولير والسليمانية ومهاباد، والأرمنيّ السوريّ هواه في يريفان وأرمينيا الكبرى، والتركماني مع أنقرة.. إلخ، وقد استطاع النّظام من خلال سياساته الدّاخليّة وأجهزته الأمنيّة المتوغّلة في عمق المجتمع ومحاكمه الاستثنائيّة المصادرة فصم العرى بين تلك المكوّنات، ونسف الجسور فيما بينها، ولم تستطع المعارضة السّوريّة خلال الثّورة التّخلص من تركة جملوكيّة الرّعب الأسديّة في هذا السّياق، وأعتقد أنّ حواراً سوريّاً فاعلاً وشفّافاً ومسؤولاً ينتج عنه برنامجٌ جامعٌ لا إسقاطيّ ولا باراشوتيّ سيسهم في طمأنة الجميع، وتعزيز الشّراكة الوطنيّة الغائبة حتّى اللحظة.

٦-في ظلّ كثرة الأحزاب السياسيّة وتنوّع التشكيلات الثوريّة الكردية نسبياً، هل ترى بأن هناك تقصيراً في العمل الثوريّ والسياسيّ العابر للقوميات من قبل الطرف الكردي، وهل يمكن أن يكون هذا أحد أسباب الاستقطاب في المشهد العام؟

كانت هناك شراكةٌ حقيقيّةٌ أيام (إعلان دمشق للتغيير الديمقراطي) في ٢٠٠٥ امتدّ لسنوات -رغم علاته-، ومؤسفٌ القول أن جميع أطرافه لم تستطع البناء عليه خلال الثورة السورية. حكماً هنالك تقصير، لكن ليس من الطرف الكردي فقط، بل بقيّة الأطراف الأخرى كذلك؛ منذ بداية الثورة كان هنالك نوعٌ من التنسيق بين الشباب الكردي والعربي في سوريا، إلا أنّ المشهد شهد تراجعاً في ظلّ هيمنة الأحزاب التقليدية في الطرفين على مفاصل الثورة ومصادرها، وتجييرها لمصالحها وأجنداتها، من خلال بطريركيتها ووصائيتها المرضيّة، كان الرهان على الشباب العربي والكردي في إحداث فارق، لكن ذلك لم يتحقق، لانعدام الخبرة السياسية والإمكانيات المادية لديهم قياساً للأوثان المقدّسة في المعارضة.

٨-برأيك هل يوجد حقّاً ممثلٌ للقرار الكردي في الساحة اليوم؟ وما أسباب انسحابك من المجلس الوطني الكردي في أغسطس ٢٠١٢؟

هناك قرارات كورديةٌ في سوريا وممثلون لها، وغالبية تلك القرارات ليست مستقلة؛ ف(مجلس شعب غرب كردستان) و(حزب الاتحاد الديمقراطي ب ي د) عضو فيه مرتبط ب(حزب العمال الكردستاني) ومرجعيّة قراره في جبل قنديل، و(المجلس الوطني الكردي) المؤلف من خمسة عشر حزباً سياسياً مرجعيّة نصف أحزابه هولير (عاصمة إقليم كردستان العراق)، والنصف الآخر مرتهنٌ قراره للسليمانية (معقل حزب الاتحاد الوطني الكردستاني) الذي يقوده رئيس جمهورية العراق (جلال الطالباني)، إذن الأمر يشبه إلى حدٍّ بعيد ارتهان (المجلس الوطني السوري) و(الائتلاف الوطني السوري) لأنقرة، والرياض، والدوحة .. إلخ.

أطلقنا (المجلس الوطني الكردي) من قامشلو يوم ٢٦ أكتوبر ٢٠١١ ليكون حاضنةً سياسيةً ومرجعيةً قرار للكورد السوريين في الثورة ضد النظام، لكنه ابتعد عن مساره ووظيفته وأهدافه لصالح المحافظة على الأحزاب الكردية أمام تنامي الحراك الثوري الكردي، وتحول إلى وصيٍّ حزبيٍّ على الحراك الكردي ضد النظام، مع إجهاض ذلك الحراك والتخفيف منه وتحويله إلى طقوسٍ حزبيةٍ رماديةٍ وضبابية، ومحاربة بعض أحزاب المجلس لنا كمستقلّين في قيادة المجلس ومحاولاتهم إبعادنا عن أيّ دورٍ في اتخاذ القرار، مع محاولاتٍ مبتذلة لتعليبنا وترويضنا كمستقلّين، لهذا ارتأيت الانسحاب منه للاحتفاظ بمصداقيتي الشخصية كناشطٍ مستقل قضى في سجون نظام الأسد أكثر من قادة الأحزاب.

٩-كيف تصف العلاقة بين الجهات السياسية والمسلحة الكردية السورية ونظرائها في الدول المجاورة؟ وهل ترى بأنّ هناك نوعاً من التدخّل من قبلهم في القرار الكردي السوري؟ وما هو حجم هذا التدخل؟

علاقة الجنين بأمه من خلال حبل السرّة، أمّا مفردة (التدخل) فتعني أنّه توجد فسحة استقلاليّةٍ إلى حدٍّ ما، وهذا للأسف غير موجود، فغالبية الأحزاب الكردية، ومؤخراً بعض الحركات والتنسيقيات الكوردية تدار بالريموت كونترول من قنديل، وهولير، والسليمانية، وحجم التدخّل هائلٌ يصل إلى حدّ مصادرة القرار السياسي الكردي السوري كلّية. يكفي هنا القول أنّ تأسيس (المجلس الوطني الكردي) كان مشروع رئيس إقليم كردستان العراق (مسعود البارزاني)، وتأسيس (الهيئة الكردية العليا) كان مشروع (حزب العمال الكردستاني) و(الحزب الديمقراطي الكردستاني)، ومشروع (الإدارة الذاتيّة لحزب ب ي د) طُرح في السليمانية (بنتيجة تفاهمات الاتحاد الوطني الكردستاني والعمال الكردستاني).

١٠- ما هي وجهة نظرك فيما يتعلّق بالمستقبل السياسي للكرد السوريين بعد سقوط النظام، وما الصيغة الأنسب برأيك لحل القضايا المختَلف عليها في هذا الإطار؟

في ظلّ الوضع الراهن والمعطيات الحالية ولا دمقرطة المعارضة السورية والارتهان الكردي للمرجعيات الكردستانية أنا متشائل، وأعتقد أن الكورد السوريين سيعودون إلى مربع ١٩٤٦ (تحولهم إلى شعب هامشي وثانوي في بلدهم)، أجد أن الصيغة الأنسب لسوريا الغد ولكل مكوناتها هو نظام اللامركزية السياسية، تفتيت سلطات وصلاحيات المركز سيمنع من ولادة دولةٍ أمنيةٍ توتاليتاريةٍ مجدداً، وسيعزز الشراكة في البلاد، ولأن حديث البعض الكردي عن (فدرلة سوريا) يبدو أشبه بفيلم رعبٍ هيتشكوكي بالنسبة للمكونات الأخرى، يمكن الاستعاضة عن ذلك بفدرالية المحافظات، أو استحداث عدة أقاليم من مجموع المحافظات. ينبغي أن يكون هاجس السوريين جميعاً عدم عودة عقارب الساعة السورية إلى الخلف.

إعادة السياسة للثورة السورية

مروان عبد الهادي

من أهم النتائج التي أفرزتها الثورة السورية السلمية، عودة الحديث السياسي إلى المجتمع السوري، والذي تمحور حول حقّ الشعب السوري في نيل حريته، واستعادة كرامته، وبناء دولته المدنية الديمقراطية الحديثة. مترافقاً مع الفعل السياسي الثوري الذي تمثّل في التظاهرات السلمية، التي طالبت برحيل الاستبداد، تحت شعار (سلمية، سلمية)، و(واحد، واحد، الشعب السوري واحد).

لقد أرعبت التظاهرات السلمية النظام، أو الفعل السياسي المدني السلمي، لذلك عمل منذ البداية على وأدها بطريقةٍ وحشيةٍ لامثيل لها في العصر الحديث.

فظاعة القتل التي واجه بها النظام المتظاهرين السلميين، دفع بهم إلى حمل السلاح للدفاع عن أنفسهم. حيث تمّ تأمين السلاح الفردي في البداية من مدّخرات الثوار البسيطة، ومصاغ النساء، دون أيّ تفكيرٍ بالدعم الخارجي، ثم تدريجياً بدأت تترسخ القناعة بأنّ هذا النظام لن يرحل، ولن يسقط إلا بالقوة. بالتالي اندفعت الثورة في مسار التسليح، فبدأت تتشكل الكتائب المسلحة، في الأرياف خاصّةً، والتي شكلت حاضنةً اجتماعيةً عظيمةً للكتائب الثورية المسلحة. وأصبحت بذلك الراية العليا للسلاح وليس للكلمة، أو للسياسة، أو للفعل المدني الثوري.

وهنا يمكن الإشارة إلى أنّ قدر الثورة السورية أن تكون مسلحة، وليس كالثورة المصرية والتونسية واليمنية. إذ وجد الثوار أنفسهم أمام مفترق طرقٍ صعب. إمّا حمل السلاح والدفاع عن أنفسهم، أو الاستسلام والعودة إلى بيوتهم، حيث سيقوم النظام بجزّهم كالأغنام إلى المعتقلات، وتنفيذ الإعدامات الميدانية كما حصل في الثمانينات. إلا أن الشعب اختار الطريق الأول، لأنه لم يعد بإمكانه العيش تحت حكم الاستبداد.

ومنذ بداية الصراع المسلح، برزت تحدّيات كثيرة أمام الثورة السورية المسلحة، أهمها:

_البحث عن تمويلٍ للسلاح، حيث أن التمويل الداخلي لم يعد كافياً؛ خاصّة أن الطبقة الرأسمالية من تجّارٍ وصنّاع، إمّا هربوا مع أموالهم للخارج، أو اصطفّوا إلى جانب النظام. مما أجبر الثوار على اللجوء للخارج العربي والدولي، الذي أفرز بدوره ارتهاناتٍ للخارج لم تكن بالحسبان.

_تشكيل قيادة عسكرية مشتركة للكتائب المسلحة، على مستوى المدن، وعلى مستوى سوريا كلها، تمتلك رؤيةً استراتيجيةً وتكتيكيةً موحّدة. وقد فشل الجيش الحر حتى الآن في تشكيل هذه القيادة، لأسبابٍ اجتماعيةٍ وتمويلية.

_البحث عن قيادةٍ سياسيةٍ للثورة. لأن الجانب السياسي في الثورة، أي اتحاد التنسيقيات، والهيئة العامة للثورة، وغيرهم من الهيئات الشبابية، الذين سارعوا إلى تشكيل وتنظيم القيادة السياسية للثورة -في المرحلة الأولى السلمية- والتعريف بأهداف الثورة وبرنامجها السياسي، تراجعوا أمام صوت السلاح، إلى الصف الثاني، ليعملوا في الإغاثة، وتأسيس المجالس المحلية لإدارة الخدمات الضرورية في المناطق المحررة. أو الإعلام على الفضائيات، والتي انحصرت مهمتهم بالدرجة الأولى، في الكشف عن جرائم النظام ومجازره، و توثيق وتعداد الشهداء. وقسم كبير منهم هاجر ليستقر في تركيا، أو بعض الدول العربية والأوروبية.

ورغم أهمية الإغاثة، والإعلام، والمجالس الخدميّة، إلا أنه من المهم أيضاً الاعتراف بفشل التنسيقيات والهيئات الجديدة للثورة، في الانتقال إلى طورٍ أعلى، أي الانتقال إلى تشكيل أحزابٍ أو تجمعاتٍ سياسية، تكون قادرةً على قيادة الثورة سياسياً، وتساهم في توحيد الكتائب المسلحة، وتعالج الفوضى التي تسود المناطق المحررة، وتكون مقنعةً للشعب سواءً الذي يسكن في مناطق سيطرة النظام، أو في المناطق المحررة.

أما الائتلاف الوطني، ومن قبله المجلس الوطني، الذي اعترف فيه الثوار في الداخل ممثلاً للثورة، ورغم ما قدمه للثورة من أحلام وآمال وتضحيات، إلا أنه تبين فيما بعد اتساع الفجوة بينه وبين الداخل، بل والإساءة إليه، بوضعه الثورة على مائدة الدول العربية والغربية، مستجدياً المال والسلاح.

والمسألة الهامة هنا، هي أن الائتلاف بدلاً من أن يجعل إقامته في المناطق المحررة، ويشجع الناشطين على الارتقاء بنشاطهم المدني والسياسي، ويشكل معهم قيادةً سياسيةً للثورة، إنما بالعكس ساهم في هجرة الناشطين إلى تركيا وغيرها، تحت مسمياتٍ مختلفة، مثل توسعة الائتلاف، الإغاثة، الإعلام، دورات واجتماعات مدنية وحقوقية....الخ.

حيث يبقى السؤال ضرورياً ومطروحاً منذ أكثر من عام: لماذا لا يجعل الائتلاف إقامته في الداخل السوري، في المناطق المحررة، مع بقاء بعض الرموز في الخارج كممثلين للثورة؟. إذا كان الجواب هو الخوف من الشهادة، فكيف سيكون مقنعاً للشعب، ولمئات الآلاف الذين يقدمون أرواحهم يومياً، ويواجهون القصف والمجازر اليومية، سواءٌ من المقاتلين، أو من المدنيين؟. ورغم عدم كفاية جوابٍ كهذا، إلا أنه من الضروري الإشارة إلى أن الائتلاف إذا أراد أن يكون قائداً حقيقياً للثورة عليه أن يكون في الداخل السوري. ليس فقط، من أجل تحويل نفقاته للداخل -رغم أهميتها- إنما من أجل تفعيل وإعادة إحياء الجانب المدني والسياسي للثورة، والارتقاء بالفعل الثوري السياسي المدني، كي يكون النشطاء أكثر إقناعاً للحاضنة الاجتماعية التي يمثلونها، والذين يساهمون بدورهم في الارتقاء بوعي هذه الحاضنة كي تستمر في دفاعها عن الثورة.

إن الفراغ السياسي في الداخل، أفسح المجال واسعاً، أمام السلاح ليكون الحاكم المطلق في المناطق المحررة. كما أدى إلى زيادة التطرف الديني، واتساع مساحة سيطرته، والذي لم يكن ملائماً في السابق للسوريين. مما يُنذر بمخاطر عديدةٍ تواجهها الثورة الآن وفي المستقبل.

لذلك تبدو الحاجة ملحة، لإعادة إحياء الجانب المدني والسياسي للثورة. ومع اليقين بأن الائتلاف، لن ينقل إقامته للداخل، وكذلك تجمعات المثقفين على الفضائيات في الخارج. لذلك يصبح المطلوب من الجميع العمل على ملء هذا الفراغ. وذلك بتشكيل خلايا منظمة، أو أحزاب، أو تجمعات، تضمّ كافّة الأطياف السياسية، برؤيةٍ وبرنامجٍ سياسي واضح، في كل مناطق سوريا. والعمل على الإعداد لمؤتمرٍ وطنيٍّ سياسيٍّ شامل، يجمع هذه الخلايا، ويؤسس لقيادةٍ سياسيةٍ حقيقيةٍ في الداخل. وأخيراً يمكن الإشارة إلى العديد من المثقفين الذين يلاحقون الائتلاف بانتقاداتهم، بأن النقد البناء هو أن تعمل على البديل، وإلا يُصبح النقد لا أهمية له.

وإذا كان صحيحاً أن النظام لن يسقط إلا بقوة السلاح. فأيضاً استكمال طريق الثورة وانتصارها، وإعادة بناء الوطن، والدولة الديمقراطية الحرة، لا يمكن أن يتم إلا بإعادة بناء السياسة، ومنظمات المجتمع المدني، وحقوق الإنسان في المجتمع.

الحكومة المؤقتة.. وصعوبة التحديات

جمال الجميلي

تكاثر الحديث في الفترة الأخيرة، حول أهمية وجود مثل هذه الحكومة المؤقتة، ومقدار الحاجة إليها، وتباينت الأراء في ذلك، فمن رافضٍ لوجودها، مكتفياً بوجود المجالس المحلية للمحافظات، والتي من المفترض أن تقوم بمهام الحكومة، في كل محافظةٍ وبلدةٍ وحيّ، وطرفٍ أخر داعمٍ لفكرة إنشاء حكومةٍ مؤقتة على أنها حاجةٌ ملحّة.

رغبةً في الابتعاد عن الجدل اللفظي، والصراع الأيدولوجي الضيق، بين المؤيد لهذه الحكومة، والرافض لوجودها، وبعيداً عن حقيقة هذه التجاذبات السياسية بين السادة «المعارضين» في الائتلاف، وخارج الائتلاف.

وفي مقاربةٍ تحليليةٍ لواقع الثورة السورية، أرى أن كل حديثٍ في مشروع بناء حكومةٍ تنهض بالواقع الثوري، السياسي، والعسكري، والاجتماعي على كافة مستوياته، هو ضرورةٌ واقعية، تفرضها الظروف والأحوال التي آلت إليها الثورة السورية بعد عامين من الأحداث والتحولات الداخلية والخارجية، ساهمت في خلق أوضاعٍ جديدة في المنطقة على المستوى الإقليمي والدولي، وكذلك على المستوى الداخلي، نتيجةً لطبيعة الصراع العنيف بين النظام الرعاعي، والمجتمع السوري.

يتضح لنا من قراءة الواقع الحالي للثورة والمتغيرات الجارية، أن هنالك جملةً من التحديات والصعوبات، التي ستتعرض لها الحكومة المؤقتة، والتي تخضع لمبدأين:

١- تحديات على المستوى الخارجي.

٢- تحديات على المستوى الداخلي.

تتجلى هذه التحديات باعتبارها حكومةً ولِدت في الخارج، وفي لحظة تاريخيةٍ حساسة، مما يؤكد على أهمية مايجب أن تتمتع به هذه الحكومة المؤقتة، من أجل إيجاد حالةٍ من التوازن في التعامل بينها وبين المجال الإقليمي والدولي الداعم للثورة، وتأثير ذلك على الداخل السوري مما يرتب عليها:

أولاً: بناء شكلٍ سياسيٍ بعيد عن الأيدولوجيا المنغلقة أو الأحادية الاتجاه أو التمذهب حول طريقةٍ في الممارسة والعمل السياسي.

ثانياً: تقديم برنامجٍ سياسيٍ شامل، توضّح فيه مبادئ سياستها الخارجيّة، والأسس التي ستنطلق منها في التعامل مع المحيط الإقليمي، والمجتمع الدولي، وذلك وفق الضرورة الوطنية، وحاجات الأرض الثائرة لاستمرار المقاومة.

ثالثاً: تقديم استراتيجية عملٍ تجمع كل المتحدات السياسية والأفراد في متحد واحد، من أجل تفعيل هذه الاستراتيجية العملانية، على المستوى الخارجي والداخلي.

رابعاً: تكريس مفهوم الكفاءات الاختصاصية للأفراد، في توظيفها في الحقول المختلفة، وفق معايير الكفاءة والنزاهة.

خامساً: أن تكون الحكومة متحداً واحداً، رغم تشكلها من متحداتٍ سياسية مختلفة، لها حق التعبير عن نفسها، لكن الحكومة تعبر عن الرؤية العامة لكل المتحدات وفق أسسٍ يتم الاتفاق عليها، وتنظيمها وتطويرها، اعتماداً على قراءةٍ موضوعية، لتصويب علاقة الثورة بالدول الصديقة والداعمة.

سادساً: إعادة العمران السياسي والاجتماعي والقيمي للعمل الثوري، وهذا ليس ترفاً في الأولوية، لأن الانزياح السياسي للوعي الثوري أدى إلى إحلال الوعي المذهبيّ، وضعف قوى المجتمع المدني في الداخل، مما أدى إلى ظهور حالاتٍ وأشكالٍ تعيق وتعطّل وتبطئ من مسار الثورة، وتشتت المقاومة المسلحة، وتدفعها للعمل تحت شعاراتٍ ورياتٍ مختلفة.

سابعاً: إعادة البناء السياسي والاخلاقي للثورة بتطبيق استراتيجية عمل، تتبنى أدواتٍ جديدة، وذهنيةً منفتحةً على كل قوى المجتمع المدني بتنوعها، مما يؤدي الى تطوير العمل السياسي للمجتمع والدولة معاً.

ثامناً: السعي مع كل المقاومات الاجتماعية المدنية، للقضاء على كل أشكال الجمعانية وتجلياتها، القبلية، والعشائرية، والطائفية، والمذهبية، والإثنية، والقومية. وذلك لتحقيق واكتمال مفهوم المواطنة والدولة القانونية.

تاسعاً: بناء تكوينات المجالس المحلية في المحافظات عامة، على أساسٍ من التنوع في اللون السياسي والاجتماعي، والانتباه للانتهازين والمتسلقين القادمين الى الثورة بأسماءٍ ولبوسٍ وأشكالٍ متنوعة، مما يدعى (المنشقين) ويتحقق ذلك بالتأكيد على خاصتيّ النزاهة والكفاءة، ويتم ذلك بربط هذه المجالس المحلية مباشرة، عبر إدارةٍ عامةٍ لها تحددُ سياستها الخدمية والإغاثية، وتقونن آليات عملها، وتضبط أوضاعها المالية والمحاسبية، اعتماداً على شكلٍ من العمل المؤسساتي الحديث والمنظم.

عاشراً: ضبط العمل المسلح للثوار وذلك :

١_من خلال رفد المقاومة المسلحة بالعناصر العسكرية المنشقة، والتي لم تنضم للمقاومة الشعبية المسلحة حتى الآن!

٢-تنظيم العمل العسكري من خلال هيئة أركانٍ عامةٍ للثورة، تعمل على الأرض في الداخل

٣-السيطرة على المنابع المالية الداعمة للكتائب والألوية المستقلة، التي ترفض الانضمام تحت هيئة الأركان العامة، ويتم ذلك من خلال التعاون بين وزارتي الدفاع والخارجية.

استدراك (١): يجب الانتباه الى استحالة الإنجاز في حقلٍ أو قطاعٍ دون آخر، لأن إعادة البناء في الميادين المختلفة، هي عمليةٌ ديناميكيةٌ متكاملةٌ ومتوازية، ترتبط عضوياً مع بعضها سياسياً واجتماعيا واقتصاديا وتعليمياً وثقافياً.

استدراك (٢): لامجال في إعادة البناء والتأسيس للدولة لأهدافٍ جزئيةٍ أو أهدافٍ منفصلةٍ عن بعضها، لأن المشروع السياسي والاستراتيجي للحكومة، هو بناء وطن، وليس بناء قريةٍ أو حارة.

استدراك (٣): إن المشروع السياسي والاستراتيجي الشامل لإعادة العمران، على كافة المستويات، يُشترط فيه أن تكون العلاقة الرابطة بين عناصره وأهدافه، ليست علاقة مساومةٍ أو مقايضة، وأن يتحقق الترابط بين مجموعة العناصر والأهداف، من خلال رؤية عملٍ متكاملة، تكرّس أسس العمل الديموقراطي المؤسساتي.

استدراك (٤) :الإعلاء من شأن المسألة الوطنية في العمل، لتحقيق الأهداف المطلوبة، للانتقال إلى الدولة الوطنية الحديثة والديموقراطية، وتحقيق قيم ومبادئ الثورة، في الحرية والعدالة وحقوق الإنسان.

استدراك (بلا نهاية..) السادة «المعارضون» تم تشكيل المجلس الوطني، لتمثيل الشعب الثائر فكشف عن فقرٍ سياسي، ورداءةٍ في الخطاب، وعقمٍ في الأداء السياسي، وتم التوسّع والتوجّه نحو الائتلاف، فكان الاختلاف هو السمة المميزة لهذا الائتلاف.

لذلك : نحن المواطنون المحكومون بالقتل والتدمير من النظام داخل الوطن، ومحكومون بالخارج بمعارضةٍ فشلت في إدراة الثورة السورية، والأزمة عموماً.

نطلب من السادة «المعارضين» إبعاد رغباتهم وأهوائهم، ومصالحهم، وحساباتهم الصغيرة والضيقة، في التعامل مع هذه الحكومة، وأن يساعدوا على بناء هذه الحكومة، من أجل خدمة السوريين، وتصويب مسار الثورة، وبناء الدولة والانسان، لأن فشل التشكيل السياسي الثالث (الحكومة) بعد المجلس والائتلاف كارثيّ على الساحة السورية، وستأخذنا الفوضى الى الخراب.

من أجل حمزة الخطيب، وباسل شحادة، وكل العفيفات الجميلات في السجون المظلمة. حافظوا على كرسي الشهداء في جامعة الدول العربية، وكرّسو أول نصرٍ سياسيٍ حققه شهداء الثورة، في حصولهم على مقعد الجامعة العربية، بدعم حكومةٍ تحقق السلام لهذه الأرواح الثائرة.

اللعب بالوقت

محمد أحمد

بين مصطلحي «غرب كردستان» و»جغرافية سورية الواحدة»، تتجلى المناورة والمراوغة الفجّة في الخطاب السياسي للهيئة الكردية العليا في سوريا. استحضار هاتين الصيغتين المتباينتين في منحييهما، كحيلةٍ منجزةٍ في لعب أدوارها المرنة، من التحول المكاني والزماني لمحاكاة الآخر، (الداخلي الكردي والخارجي السوري.)

مختبرات الـ (ب ي د) صاغت هذه الثنائية، منذ بداية الثورة، كمخرج لتساؤلاتٍ محتملةٍ من قبل النظام الحليف الكلاسيكي، وحلفائها من المعارضة السورية (هيئة التنسيق) من جهة، ومن جهة أخرى جماهير حزبها التي ورثتها من ال (ب ك ك)، هذه الجماهير الموعودة لتحقيق حلمها بكردستان مستقلة.

أقنعت الـ (ب ي د) _بتراخٍ من مسعود البرزاني_ حلفاءها في الهيئة بتبنّي هذه الثنائية، والترويج لها، رغم تحفّظ البعض لما تكتنفه من غموض، ومغامرةٍ لفظية، لا تدوم كثيراً.

إذاً مصطلح «غرب كردستان» هو شعارٌ خُصَّ به الكرد في مناطقهم، لحشد طاقاتهم البشرية المفعمة بالعاطفة المكنونة منذ أوج نشاط ال (ب ك ك)، ومصطلح نحن جزء من «الجغرافية السورية الواسعة» حسب تعبير «صالح مسلم» هو لتطمين حلفائها من الجهات السورية بعمومها، بأن الكرد لن يصطادوا حقوقهم في المياه العكرة، ولن يستخدموا تعبير «غرب كوردستان» إلا في حدود مناطقهم، ولن يكون حاضراً على طاولة التسويات.

التسويات «المساومات» بدل التفاوض، ليس اصطياداً ماكراً لتوصيفٍ يوشي بدلالةٍ مغايرةٍ عن أهداف العمل السياسي المرتبط بقضايا أخلاقية، بل هو واقعٌ يدلُّ على ما تمارسه الهيئة من سياسةٍ في حدود ردِّ الفعل المشوب بمناوراتٍ محدودة.

هذا الاستخدام العاطفي لشعار «غرب كردستان» وَظَّفَ كماً هائلاً من البشر في قوةٍ منظمة، وعبر التضخيم الإعلامي لهذه القوة المتواجدة في مناطق نفوذها (حقول النفط في الجزيرة، أحداث الأشرفية، إنهاء هيمنة عشيرة «البكارة» في الأشرفية ذات الغالبية الكردية، وضخامة التجنيد العسكري في عفرين لأهمية موقعها العسكري كنقطة وصل بين تركيا وحلب).هذه المعطيات التي أنجزها ال(ب ي د) كقوةٍ على الأرض، مع الاستفادة من تغاضي النظام عن أفعالها، في اتفاقٍ على سيناريو تبادل لعب أدوار السيطرة على هذه المناطق، والتي رويداً رويداً فرضت هيمنتها بقوة السلاح. كرست هذه الهيمنة سلطتها كبديلٍ لسلطة النظام، التي تخلت عنها طوعاً، وسرعان ما استدركت بأن لا ضمانة لديمومتها إن لم تكشف لجماهيرها عن سرِّ العلاقة بين هذه الثنائية في الممارسة السياسية، لا سيما بوجود فعاليات شارحةٍ وفاضحةٍ لهذه الثنائية، وكشف المستور عن ذرائعها، والتشهير بخفايا القوة الحقيقية التي يستمد منها ال(ب ي د) هذه السلطة. لا شك أن أحد أبرز وجوه النفاق تجلياً، هو عدم استخدام مصطلح «غرب كردستان» في أي تصريحٍ رسمي لصالح مسلم باللغة العربية، كذلك لا وجود لمصطلح «الكرد جزء من سوريا الواحدة» في أدبياتهم السياسية الكردية.

إذاً، ماذا نريد؟؟ لما لا تتفق الهيئة الكردية على هذا المصطلح بإحدى اللغتين؟

تتسع سقوف المطالب بين مكونات الهيئة الكردية، من الإدارة الذاتية، حتى الفيدرالية، لكن الكل تراجع لصالح ال(ب ي د) وهذا يدل على أن الهيئة تشكلت كضرورةٍ عسكرية، بإملاءٍ من هولير وقنديل لحماية المناطق الكردية، طالما أنهم غير مستعدين للتقارب في برامجهم السياسية.

مظاهرات القامشلي

جاءت مبادرة مسعود البرزاني، بلهفتها الاستعجالية، لتوحيد الصف الكردي عسكرياً، بمثابة طوق نجاةٍ لهذاالخطاب الثنائي الذي ابتدعه ال(ب ي د)، طالما أنها تمتلك شروط التفاوض، والفوز بها، وحصلت على ما تريد، وتناصفت الهيئة بين مجلس غرب كردستان والطرف الآخر المجلس الوطني الكردي، ومن خلال هذه المناصفة على قيادة الهيئة الكردية العليا، أعادت رتق النفور الذي أبدته فئاتٌ شعبيةٌ واسعةٌ من سلوكياتها المريبة، وشرّعت أفعالها التعسفية ضد كل من يخالفها، وأجّلت _إلى حدٍ ما_ . الإجابة عن تفشي السؤال المتواتر: ما سقف مطالب ال(ب ي د) للكرد في سوريا؟

إن هذا الخطاب الذي طُرح بمنحيين مختلفين في الدلالة، ما بين التأكيد على وحدة الجغرافية السورية، والتأكيد على وحدة جغرافية كردستان، أدى بالكردي إلى التيه السياسي، ولم يجد أمامه إلا تعويض ذلك بملاحقة حلمه، وتمسكه بالسلاح كضرورةٍ وواجبٍ لمواجهة تحديات الوضع الراهن، عبر ترجمةٍ ذاتيةٍ لهذا التخبط في الخطاب السياسي الكردي، وهذا ما سعى إليه ال(ب ي د) أولاً، ثم تبعته الأحزاب المؤتلفة معه.

لماذا ثورة إنسانية؟

علي ديوب

بعد أن توصلت البشرية إلى امتلاك أدوات فنائها المتبادل(السلاح الذري)، كان عليها أن تفكر بطرائقٍ بديلةٍ عن الحروب البينية، التي يستخدم فيها كلّ طرفٍ من الأطراف كامل قواه للتغلب على الخصم. وإزلته من الوجود، إن أمكن. ولعل أفدح خسارات التاريخ، تمثل باحتلال أمريكا، وقيام البيض بأعمال قتلٍ لم يشهد لها التاريخ مثيلاً في البشاعة والإبادة التي استمرت قروناً، بحق الهنود الحمر- السكان الأصليين.

ومع الاعتراف المتبادل بحق العيش، لكل الشعوب، توصّلت البشرية، في عصر القوميات، إلى نموذجٍ أرقى، يمكن أن يُشكّل عامل حمايةٍ موفورٍ الدفاعات. ومعترفٌ بحرمته الذاتية- كما حرمة البيت بالنسبة للعائلة- ألا وهو نموذج الدولة الأمة.

اليوم، ومع أفول هذا النموذج، على يد ساحرة الحداثة التقانية- ممثلةً في العولمة- مسلحةً بكل عدتها وعتادها الفكري والإعلامي والدعاوي، والأهم التناسخي المذهل؛ فقد أصبحت البشرية أمام تحديين اثنين، الأول دفاعيّ، تحمي فيه خصوصياتها. والثاني إبداعيّ، تحاول اجتراحه، عبر خلق أسلوبٍ أو ابتكار آلية، أو مزاولة طريقةٍ لتقييد الجنّي. ما دامت إعادته إلى القمقم صارت أمراً مستحيلاً.

فما عساها الاستجابة التي تصلح للوقاية من جائحة العولمة، وتمكّن من مواجهة الخطر النووي- في آن؟

بات مؤكداً عجز الدولة/ الأمة، أمام استباحته العولمة- عبر شركاتها العابرة للقوميات والحدود. ولقد استسلم قبلها النموذج الاشتراكي العالمي المتداعي، بنتيجة الحرب الباردة.

هل الشعوب سعيدة؟

ما لم تبلغ الكتل البشرية الكبرى(الشعوب والمجتمعات والأمم)، حالةً من الرضى، تسمح لنظم العيش السائدة أن تستقرَّ كنماذج؛ فلن يُقدَّر لهذه الأخيرة أن تنعم هي الأخرى بالراحة.

لا مراء في أن الذي وصل إلى يد الشرائح الواسعة من البشرية اليوم، شيءٌ يشبه الحلم. وما كان لخيالٍ أن يعاقره، فيما سبق من عصور كانت مقتنيات الملوك لا تزيد عن الأمشاط والعطور وأدوات الزينة- إذا استثنينا الثروات العينية. ولكن أحدث هذه المقتنيات العجيبة (الموبايل)، الذي يشاطر فيه راعي الغنم أخاه الإنسان في أرقى البلدان؛ لا يزال عاجزاً عن ردم الهوة الرهيبة في الفوارق، التي لا تحصى، بين أفراد وجماعات البشر/ الأخوة. لا، بل إن التسابق على امتلاك أكبر تنويعةٍ من منتجات العصر، وإحراز أوسع القفزات في الفوارق تلك؛ بات يمثل دين الأفراد في العصر الحديث. وسبباً يبرر لهم خوض صراعات لا تقلُّ وحشيةً وضراوةً عن أشكال الصراع السابقة.

أعتقد أنه يكفي للبرهان على ذلك، إيراد شواهد عن السلبية المؤسفة التي تبديها الشعوب اليوم حيال قضاياها المتبادلة. على نحوٍ يشبه اكتفاء الحيوانات البرية بالتفاتات ذعرٍ- تقطع فيها عملية قضم العشب، أو اجتراره- حين ينفرد وحشٌ بأحدها.

لكن الشعوب ليست قطعاناً حيوانية. و برهان هذا في الثورات، ربما هي قطائع تاريخية، تشرح خفايا تلك المخلوقات، التي ترفض أن تُعامل كالقطعان. وترفض أن تستمر في استجاباتها على الظلم كالقطيع. فتردّ على زمن الحاكمين السرمدي، بقطعه هو، ودفعه للارتداد أو الانعطاف.. وأحياناً الوقوف، واضطرار الحكام للترجل والهروب، مولين الأدبار، تاركين قيادة التاريخ، لفتراتٍ تكون استثنائيةً، لا تلبث بعدها الجماعات نفسها أن توليها من جديد، لمن يعيد سيرة الحاكمين!

عتبة الإنسانية

لن يقيَّض لعربة التاريخ البشري أن تسير اليوم، على نفس المنوال. ولا بد أن البشر يفكرون (على نحو واعٍ أو غير واعٍ)، في طريقةٍ تكفل لهم الاستمرار، بعيداً عن الحرب/النهاية.

ومثلما تبدَّت لهم الرابطة القومية، كرابطةٍ وهمية، أوجدوها للتعويض عن روابط سابقة- كالأديان والامبراطوريات والممالك السلالية- ضحوا بها، للدخول في الحداثة؛ فهم اليوم معنيون بالعثور على رابطةٍ/ روابط جديدة، تعوّض عن رابطة القومية/ الأمة، التي أورثتهم ولا تزال تورثهم الويلات والانقسامات، فيما عوّلوا عليها أن تجسّد حلمهم، في العثور على ما يجمعهم ويحقق لهم السعادة.

اليوم يقف البشر على عتبة الإنسانية. ولكن السؤال: هل الإنسانية حقيقةٌ موجودةٌ أساساً؟ أم أن على البشر أن يفترضوا، ثم يفرضوا وجودها- واقعاً من عدم- كما أوجدوا الأمة من قبل؟

أعتقد أن علماء الأناسة لا ينكرون دخول الجنس البشري مرحلةً مختلفةً عن النوع الحيواني. وإن اختلفوا في تحديد بدايتها: العائلة، أم الملكية، أم المشاعر..؛ لكن مهما يكن، فهذا الافتراق عن الحيوان، أعطاهم مساحةً من التمايز البيني، غير موجودةٍ في أي جنسٍ آخر من الحيوانات. وهو ما يسمح لي أن أتخيل فعل الحرية في الجنس البشري، على نحوٍ يشبه فعل الانفجار الكبير في الكون. فكما حرر الانفجار المادة، فقد شظاها، وتسبب في ابتعادها مسافات خياليةً(فلكية)؛ كذلك فعلت الحرية في كتلة البشر المتماثلة: ميزتهم أفراداً، وباعدت بينهم مسافاتٍ فلكية، يمكن للمتبصر في أعماقهم أن يكتشفها، كما اكتشف المتبصر في الكون مسافاته الرهيبة.

الحرية، إذن، هي قيمةٌ زاخمةٌ في بني البشر. وهي الدلالة الأساسية، في جوهر الجنس البشري- على الأقل بعد تمايزه عن النوع. وهي أيضاً سبب الحروب التي حولت حياة الجنس البشري إلى سلسلةٍ من المآسي- لم تتوقف حتى اليوم- على يد الأقوياء المتحكمين/أسياد القطيع الأول.

اليوم صار البشر أقرب إلى حرياتهم، بفضل تنامي قوة الشرّ في وسائل الاحتراب البشري ذاتها. وهذه مفارقةٌ، تشبه تلك التي تبدو للبعض تناقضاً، متمثلاً في القول بأننا نقف على عتبة الإنسانية، فيما الجماعات البشرية تشد أزرها في انتزاع حرياتها، بروابط قديمة، مثل الدين. وهو ما يبدو لهم نوعاً من الارتداد حتى على التكوينات الأخيرة-الأحدث- وأعني القومية/الأمة.

الجواب لدي، يكمن في وقوف البشر اليوم على عتبة الإنسانية، بما هي قبضٌ على الحريات، وانشغالٌ بالحقوق الجوهرية. وهو ما يعني أن خياراتهم الحديثة هي كل ما يرتضونه لذواتهم ولبعضهم بعضاً(تعريفاً لحرية الذات والآخر)؛ وهي خياراتٌ ستجمع ما يبدو لنا قديماً بالياً ميتاً منذ قرون، وما يبدو لغيرنا مفرطاً في الغرابة والعصرنة والشذوذ والجنون.

و من يقف اليوم على تعريفٍ للهوية، بوصفها خصالاً صافية، وخِلالا نقيةً، سيجد نفسه محض فاشيّ حديث، يحارب حريات الناس. و يحاول منع البشر من دخول تاريخهم الجديد- تاريخ الإنسانية.

مظاهرات سلمية ٢٠١١ عدسة علي الشيخ

أمتان ..... ومستقبلان

علي العبد الله

عدسة حلب نيوز

يثير الحديث عن «الأمة» و»ثوابت الأمة» الذي تطرحه الحركات والجماعات الإسلامية في نشاطها الدعوي والإعلامي وبرامجها السياسية (برنامج حركة الإخوان المسلمين في سوريا: المشروع السياسي لسوريا المستقبل، مشروع النهضة الذي أصدره حزب الحرية والعدالة في مصر) التباساتٍ وإشكالاتٍ كثيرة وخطيرة، بسبب تداخله وتعارضه مع ما يطرحه علم الاجتماع السياسي حول الأمة والدولة القومية وتناقضه مع مستدعيات نظام العصر: الدولة- الامة.

لقد نشأت جماعةٌ إسلاميةٌ من أفراد وقبائل وشعوب اتبعت دين الإسلام. لكن تسميتها «أمة» يحتاج إلى تحديدٍ لمعنى «الأمة»ودلالة «أمة إسلامية». فالقرآن الكريم استخدم مصطلح أمة بسبعة معانٍ أحدها فقط الجماعة (القائمة على وحدة المعتقد)، وهي هنا مشتقةٌ من جذر أمّ الإسلام (أي تبع الإسلام). وهذا جعلها «أمة» ذات طبيعةٍ خاصة، هي أقرب إلى الكيان المعنوي/الاعتباري منها إلى الكيان الاجتماعي، كما يحدده علم الاجتماع السياسي والقوميون. فالأمة الإسلامية ضمت بداخلها كياناتٍ اجتماعية متعددة ومتمايزة ومختلفة، ضمت أمماً وشعوبا وقبائل لكلٍ منها كيانها الاجتماعي المتميز، وتجربتها التاريخية الخاصة، كمعطى لسياقٍ تاريخي واقعي حيّ نشأ بفعل قوانين (نواميس بالمصطلح القرآني) موضوعيةٍ تتحكم بمسار الظواهر الاجتماعية، وقد أضاف دخول هذه الأمم والشعوب والقبائل في الإسلام بعداً حضارياً إلى أبعادها التاريخية، ومنحها مقدرةً أكبر على مواجهة ظروفها الخاصة في إطارٍ حضاريٍّ جديد أوسع وأقدر (الدولة المشتركة). لكن دخولها في الدين الجديد واندماجها في الكيان السياسي الذي نشأ، لم يلغ كيانها الاجتماعي الخاص-لأنه وجودٌ موضوعي يمكن أن يضاف إليه، يمكن أن يغتني ويتطور، لكنه لا يمكن أن يُلغى- بل جعلها جزءاً من كيانٍ سياسي تشترك فيه مع مكوناته الأخرى، من الأمم والشعوب والقبائل بوحدة العقيدة وتختلف معها في التجربة الحضارية والإرث الاجتماعي.

أما الأمة بمعناها الاجتماعي فطبيعةٌ أخرى مختلفة، إنها واقعٌ اجتماعي، إطارٌ جماعي لحل مشكلات البشر داخله، تنشأ كإطارٍ اجتماعيٍّ من اختصاص شعبٍ معين بأرض معينة. ومن تفاعل هذين العنصرين:الشعب والأرض، يقوم الإنتاج المادي والمعنوي وتنشأ الثقافة وتتبلور الشخصية القومية. وحيث إن الأمة كيانٌ اجتماعيٌّ واقعي، له كثافته، ثقله، ودور في تنظيم وإدارة علاقات أفراده، فإنها تأخذ كامل أبعادها في إقامة مؤسساتها التنفيذية والتشريعية والقضائية لإدارة المصالح المشتركة لأفرادها(الدولة الوطنية)، وعندما يتطور تنظيم العلاقات وتعتمد السلطة دساتير وقوانين مناسبة وتتبنى طرق إدارة توازنٍ أو تجمع بين مصلحة الكل ومصلحة أجزائه من دون تمييزٍ عرقيّ أو ديني أو جنسي تغدو دولةً- أمة.

لقد استوعب الإسلام في داره أمماً وشعوباً وقبائل كثيرة، كان الإسلام بالنسبة لها كيانها العقائدي والسياسي المشترك، من دون أن يحوّلها كياناً اجتماعياً واحداً حيث بقيت أمماً متعددةً ومختلفة. من هنا كان طبيعيا ألاّ تتعرب الشعوب غير العربية التي دخلت الإسلام، بفعل كون العرب هم حَمَلة الإسلام، وكون لغة القرآن الكريم العربية، وأن تأخذ ثورات الشعوب غير العربية على الحكم الأموي والعباسي، حين لم يكن العدل والمساواة بين شعوب الدولة المشتركة محققين، ثورة الأطراف على المركز، أبعاداً قومية، وُصفت آنذاك بالشعوبية، وأن تحمل ثورة العرب ضد السلطنة العثمانية اسم الثورة العربية. وأنها- الأمم- لم تذهب عندما ضعفت الدولة الإسلامية وتفككت إلى التيه، بل كان لديها إطارها الاجتماعي الخاص الذي لجأت إليه لتواصل، مع بقاء شعوبها مسلمة، مسيرتها الوطنية في اتجاه حل مشكلات أبنائها المادية والمعنوية، مستخدمةً ما لديها من وسائل وتجارب وأدوات، بما فيها تجربتها الحضارية في ظل الإسلام.

يستدعي هذا التمييز بين الأمة الاجتماعية والأمة العقائدية نظرةً مختلفة عن السائدة في صفوف التيار الإسلامي.فالأمة كوجود اجتماعي/قومي ليست، كما يذهب بعض الإسلاميين، قوة عنصرية، وليست، كما يذهب معظمهم، عصبية بغيضة يجب تركها كما دعا إلى ذلك الرسول عليه السلام، في إشارة غير موفقة إلى قوله عليه السلام: ”اتركوها فإنها نتنة“ ذلك لأن الحديث النبوي الشريف تحدث عن العصبية القبلية في مواجهة الأخوة الإسلامية. ويقود – هذا التمييز – إلى تمييزٍ آخر بين دور كلٍّ منهما في حياة الشعوب والبنى السياسية التي تتفق مع كلٍّ منهما، ففي حين تفرض الأولى قيام دولةٍ وطنية، أو قومية لا فرق، فان طبيعة الثانية لا تقود إلى دولةٍ بالضرورة، لأن قيام دولةٍ ليس جزءاً من الإيمان، ولأن قيامها في التاريخ الإسلامي ارتبط بالضرورة الاجتماعية ليس إلاّ، أما الآن فقيام دولةٍ على أساس الدين يتناقض مع نمط الدولة الحديثة السائدة في الاجتماع الإنساني، وتجربة الدولة في باكستان التي قامت على أساس الدين خير دليلٍ على هذه الاستحالة، حيث شكلت دولةً قلقةً وغير مستقرةٍ لعقود قبل أن تتحول إلى دولةٍ فاشلة بكل معنى الكلمة.

كما يستدعي، في ضوء هذا التمييز، تحديداً دقيقاً للثوابت المعنية، وبرنامجاً سياسياً اجتماعياً اقتصادياً وثقافياً مختلفاً، لأن برنامجاً يستهدف حلَّ مشكلاتٍ عينية لجماعةٍ بشرية معينة، سيلحظ بنيتها الاجتماعية والاقتصادية وما تتطلبه أولا وقبل أي شيءٍ آخر، من دون أن يتجاهل البنية الثقافية لهذه الجماعة، ناهيك عن الإطار السياسي الذي ينظم علاقات أفراد هذه الجماعة، أي الدولة الوطنية وحدودها ومواردها البشرية والمادية، بحيث لا يبقى البرنامج أسير عموميات ومجرداتٍ لا طائل منها، حيث تعددت شعارات الإسلاميين: الاسلام دين ودنيا، ودين للدنيا، ودين وأمة، ودين ودعوة، ودين ودولة، أو أسير أهدافٍ مستحيلة(دولة الخلافة) يبدد الوقت ويستنفد الجهود في الجري وراء سرابها الخادع.

برغم جميع الصعاب، مراسلات يتقدمن في سوريا

نساء في العالم

بقلم باتريك هيلسمان – إيمّا بيلز

ترجمة: فدوى جميل

«نساءٌ محلياتٌ وأجانب على حد سواء، يسلطن الضوء على قصص لا تُحصى من الحرب الأهلية الوحشية في سوريا».

مجموعةٌ صغيرةٌ لكنها مؤثرة، من النساء السوريات والأجانب، والتي لا يزال صوتها مسموعاً على الرغم من النشاز الطائفي المتزايد في الحرب الأهلية الدائرة في سوريا، يروون بطرق فريدةٍ من نوعها وذاتَ مغزى، قصصاً عن تدمير البلاد، هنَّ حاضراتٌ في جميع جوانب الصراع، حيث تخطُّ النساء التاريخ السوري.

لعبت المرأة السورية دوراً قوياً منذ بدايات المعارضة السلمية الأولى ، لنظام بشار الأسد البعثي.

سمر يزبك، الكاتبة والصحفية السورية _من الطائفة العلوية، وعضو في جماعةٍ دينيةٍ مرتبطةٍ تقليدياً بالنظام_ كانت من بين النساء اللواتي بدأن نشاط المعارضة.

النساء_كما تقول_ كنَّ من أوائل الذين خرجوا واحتجوا «لقد نظموا الإحتجاجات وشكلوا التنسيقيات والهيئات التنظيمية»، ووفقاً ليزبك، حين تحولت الاحتجاجات السلمية إلى المقاومة المسلحة وبعد ذلك إلى الحرب الأهلية، تغيَّر دور المرأة في النزاع «لم تمسك المرأة السورية السلاح، لكنها استمرت بمساعدة الثورة من خلال توثيق الانتهاكات، أوالتنظيم والكتابة في وسائل الإعلام».

نور كلزي، مدرّسة اللغة الانكليزية في حلب قبل الثورة، والآن هي مصورةٌ شابة، وواحدةٌ من هؤلاء النساء، بدأت بتوثيق أحداث الثورة بهاتفها الجوال قبل أن تُمنح كاميرا من قبل مصوِّرٍ محترف، وهي تقضي حالياً أيامها في الخطوط الأمامية للمواجهة، كمراسلةٍ صحفية، ومصورة لوكالة رويترز.

الدور الواضح للنساء في المراحل الأولى من الإنتفاضة، هو ما استرعى اهتمام المراسلة الأمريكية آنا داي بالصراع الدائر، والذي كانت تقوم بتغطيته على مدى عامين. قالت داي بخصوص انخراطها، أنه تم الترتيب له من خلال اتصالها الأساسي مع النساء في المقاومة عبر وسائل الاتصال الاجتماعية.

«لقد كان الأمر مثيراً، وشخصياً كامرأةٍ شابة كنت مُلهَمةً بشكلٍ لا يُصدَّق، وشعرت بالفخر لسرد قصص زميلاتي في سوريا وهنَّ يناضلن من أجل حقوقهن.»

مقاتلة كردية وهي تتخذ موقع الحراسة في حلب (رويترز–نور كلزي)

تاريخياً، لدى سوريا السمعة الجيدة من حيث كونها مجتمعاً أكثر مراعاةً لحقوق المرأة من غيرها من الدول الناطقة بالعربية، وتفسِّر هذه السمعة، جنباً إلى جنب مع غياب العنف الجنسي _كالذي واجهته الصحفيات اللواتي قمن بتغطية أحداث مصر_ أن الصراع السوري قد اجتذب عدداً غير مسبوقٍ من الصحفيات الإناث الأجانب.

بالنسبة للبعض كالصحفية جنان موسى المتواجدة في دبي، أو المراسلة الأميركية كلاريسا وارد، فإن الصراع الدائر حلب لهنَّ شهرةً واسعة ، بينما لم يحالف الحظ البعض الآخر.

قُتلت مراسلة ال(صندي تايمز) ماري كولفن جراء القصف على مدينة حمص، خلال الأيام الأولى من الحرب، وفي وقتٍ لاحق خلال عام واحد فقط، تم قتل يارا عباس المراسلة الأنثى البارزة، والتي تعمل لصالح القناة التابعة للنظام السوري _الإخبارية_ وذلك بنيران قناصٍ في نفس المنطقة.

الصحفية الأرمنية_الأميركية لارا سيتراكيان، مؤسسة مشروع وسائل الإعلام الرقمية (سيريان ديبلي) أي (نظرة معمقة إلى سوريا)، ذكرت أن نوع الجنس ليس معيباً في إعداد التقارير في بيئةٍ خطرةٍ ولا ترحم، وأضافت: «أعتقد أنه وفي هذه المرحلة، سيكون من المغالطة افتراض أن النساء لا يستطعن الاقتراب من المتمردين، أو حتى من قادة المتمردين في الميدان، ولا أعتقد أن هناك أيّ حاجزٍ بين الجنسين للوصول إلى الأشخاص ممن شاركوا في هذا الصراع».

في الواقع، تقول سيتراكيان: «إن النساء جلبن نجاحاً فريداً للقصة»، وهي تشهد للتفاني غير المتزعزع للصحفيات الإناث في الصراع الدائر، وتقول أن أولئك اللواتي تعمل معهنّ هنَّ «في غاية الصبر والاجتهاد».

تقول سيتراكيان «إن هذا النهج أمرٌ ضروري جداً: أنت لا تقوم بترك المريض في حين أنه يتنفس، عليك أن تراقبه بانتباه، النساء الصحفيات اللواتي رأيتهن يعملن في سوريا، لديهن هذا النوع من الاتساق والأخلاقيات».

في الصراع غالباً ما تحمل المرأة العبء الأكبر من كمية المعاناة الهائلة أثناء محاولة الحفاظ على الحياة العائلية_ وسوريا ليست استثناءً.

بالنسبة ليزبك، أكثر القصص مأساويةً، هي تلك التي تخص النساء اللواتي يكافحن من أجل الحفاظ على وجود منزلٍ طبيعي، على الرغم من العنف، وتقول «الأكثر أهميةً هنَّ النساء اللواتي يعشن خارج الحياة الطبيعية تحت القصف»، وتضيف «إن النساء الصحفيات هنَّ غالباً ممن يمثلون قصص المدنيات من الإناث».

يزبك وداي حاولتا إعطاء هؤلاء النساء صوتاً في تقاريرهن.

جلب الصراع المعاناة أيضاً للصحفيات السوريات والناشطات، ممن يقمن بتغطية الأحداث، وأصدرت منظمة حقوق الإنسان تقريرها الشهر الماضي، فصّلت فيه تعرَض عشر ناشطاتٍ للتعذيب في سوريا، وفقاً لذلك، فإنه بالنسبة ليزبك، سوريا لم تعد وطنها الماديّ المحسوس _إذ تعيش في المنفى في باريس منذ عام ٢٠١١ _ «أنا لا أعيش في مكانٍ الآن، أنا أعيش في فكرة البلد والثورة، وطني هو رأسي، مملوءٌ بالدماء، وبكاء الأطفال، وصوت قنابل الطائرات».

بالنسبة لكلزي، إن ثمن الحرب كان جسدياً، ففي شباط كانت قد أصيبت بالقصف وكسرت ساقيها.

«أصابت القذيفة الجدار الذي كنت أستخدمه كمأوىً لحماية نفسي، وكان

ذلك خلال نصف ثانيةٍ، عندما شعرت وكأن كلّ ما استطيع رؤيته هو السواد».

قالت حول الحادثة: «حاولت النهوض، عندها أدركت أن هناك مشكلةً في ساقيّ» حتى عقب إصابتها مباشرة، كانت غريزة كلزي الأولى هي أن تروي القصة : «ظللت أصرخ، أين كاميرتي؟».

بالنسبة للصحفيين الغربيين، إن أثر تغطية الصراع كان عبارةً عن رغبةٍ لإيجاد طرقٍ مبتكرةٍ لرواية القصة.

تركت «سيتراكيان» عملاً ناجحاً ضمن إعداد التقارير، لبدء مشروعها «نظرة معمقة إلى سوريا» بسبب إحباطها من جراء نقص التغطية، والأخبار الرئيسية المحدودة. المشروع الحي على الانترنت يتضمن أخباراً، مقابلات، وسائل اتصال اجتماعية، ومعلوماتٍ أساسية، تقدِّم صورةً مفصلةً عن الصراع.

«كنت أجد أنها قصةٌ مزمنةٌ من الصعب تتبعها، وهي أزمةٌ معقدةٌ للغاية، كنت أعد التقارير للتلفزيون، الإذاعة والإنترنت، وكنت أستطيع رؤية أنه وعبر تلك البرامج، كنا ما نزال غير قادرين على التقاط جوهر ما كان يحدث».

وقالت أنها تواصل تطوير مشروع «نظرة معمقة إلى سوريا»، وتأمل توسيعه إلى مواضيع إخبارية أخرى في المستقبل.

استخدمت داي المصدومة من لامبالاة وكالات الأنباء والمشاهدين، وسائل الاتصال الاجتماعية لتغيير طريقتها في رواية القصص.

«قمت بتجربةٍ واحدة، حيث شاركت مجموعةً من الصور على موقع (اينستاجرام)، وهو موقع تواصلٍ على الانترنت لنشر الصور الشخصية للمستخدم، والتي تُظهر بعضاً من أكثر القصص المؤرِّقة التي قمت بتغطيتها على مدار مهمتي».

خلق مشروعها سرداً متماسكاً، ركّز على الكارثة المدنية، وتقول: «لقد وجدت هذه الطريقة الوجيزة، ولكن الشخصية في إخبار القصة، لتكون فعالةً في جذب انتباه الناس في الشبكات الفضائية الخاصة بي، والتي قد لا تتبع السياسة العالمية».

ومع استمرار الصراع في عامه الثالث، دون دلائل تُذكر على أيّ قرار، فإن هؤلاء النساء المتفانيات من خلفياتٍ وأممٍ متنوعة، جميعهن يردن الاستمرار في العمل، لإيجاد طرقٍ جديدة لحثّ الناس على الإصغاء. كلٌّ منهن لديها أمنيةٌ مختلفةٌ لسوريا ولنفسها.

تأسفت يزبك على تزايد وتيرة الطائفية، والتي ألقت اللوم فيها على إستراتيجية النظام، وتصرُّ على العودة إلى سوريا لتكون مشاركةً في إعادة إعمار البلد، التي ضحّت كثيراً من أجلها، وعن نفسها تقول: «لديّ حلمٌ واحدٌ فقط... سقوط بشار».

الاقتتال الداخلي بين مجموعات القاعدة وتيّار المتمرّدين يقوّض الثورة في سوريا..

ترجمة: سامي شيخ أيوب

صحيفة الواشنطن بوست الأمريكيّة

على الخطوط السوريّة الأماميّة، مقاتلو القاعدة والكثير من المقاتلين المتمرّدين السوريّين، انقلبوا على بعضهم البعض بقوّةٍ شديدة، ممّا أدّى لتقويض الجهود الهادفة للإطاحة بالرئيس السوري بشار الأسد.

بعد اشتباكاتٍ عنيفة واغتيال اثنين من قادة المعارضة المسلّحة -أحدهما وُجِد مقطوع الرأس-، الكثير من الفصائل المسلّحة المعتدلة نوعاً ما تتّهِم علانيةً المتطرّفين بمحاولة الاستيلاء على الثورة المسلّحة. بفضل جهود المتطرّفين الأجانب لفرض تفسيرهم الصّارم للإسلام في المناطق التي يسيطرون عليها، الفصائل المسلّحة تتفكّك في حراكها، في الوقت الذي يحرز فيه النظام تقدّماً ملحوظاً على الأرض. تتحدّث امرأةٌ في التاسعة والعشرين من العمر من إحدى المناطق المتنازع عليها في حمص فتقول:»لقد تحوّل تركيز المسلّحين من إسقاط النظام إلى الكفاح من أجل التحكّم والقوّة، أعتقد بأنّ ضعف القيادة الحقيقيّة كان ولا زال أكبر مشاكلهم»، تحدّثت المرأة إلينا دون الكشف عن هويّتها بسبب خوفها من المتمرّدين والنظام على حدٍّ سواء.

الجيش الحرّ قيّم خبرة وموارد حلفائه غير المستقرّين، التي أحضروها إلى أرض المعركة، لكنّ السؤال الآن هو فيما إذا كانت ممتلكات هذا الجيش كافيةً للمعركة، وذلك دون ذكر الصعوبة الشديدة في إقناع الغرب لتسليحه.

وقد صرّح العميد سليم إدريس قائد المجلس العسكري الأعلى للجيش السوري الحر: «نحن لسنا بحاجةٍ مقاتلين أجانب، لدينا ما يكفي من المقاتلين حتّى خارج سوريا».

بتعليقاتٍ فظّةٍ لافتةٍ للنظر، في مقابلته مع قناة العربية، اتّهم العميد إدريس عناصر ممّا يسمّى بدولة العراق والشام الإسلاميّة بالعمالة للنّظام، وبكونهم «مجرمين» على حدّ وصفه.

دولة العراق والشّام الإسلاميّة؛ مجموعةٌ تشكّلت في شهر نيسان من قِبل أعوان القاعدة في العراق وسوريا، وأخذت دور المهيمن بقوّةٍ في الصراع في سوريا. معظم مقاتليها هم من شمال أفريقيا، عراقيين وأفغان وبعض الأوروبيّين، الذين جاؤوا إلى سوريا للمشاركة في الانتفاضة الإسلاميّة ضد بشّار الأسد.

مسلّحون تابعون لدولة العراق والشّام الإسلاميّة كانوا وراء مقتل اثنين من قادة الجيش الحر، وهما الضحيّتان الأعلى شأناً، من بين الذين قضوا جرّاء التوتّر المتزايد بين الجهاديّين ومقاتلي المعارضة المدعومين من الغرب.

يقول الناشطون بأنّ المتطرفين قاموا مؤخراً باقتحام الكثير من القرى التي يسيطر عليها الجيّش الحر، مهيمنين على الموارد الأساسيّة مثل الأفران وآبار النفط ومضخّات المياه وذلك لضمان ولاء الناس لهم.

في الكثير من الحالات كان المتشدّدون يستولون على السلاح من قواعد جيش النظام، ويبقونها بمعزلٍ عن الفصائل المقاتلة الأخرى.

لكن ما ينفّر معظم الناس هو الوحشيّة. فقد قام المتطرفون بعمليات إعدامٍ كثيرة، والجلد أمام العامة، والاعتقال العشوائي، مُؤجّجين بذلك ردود الأفعال العنيفة ضدّهم.

الحراك في سوريا بدأ في آذار ٢٠١١ بتأثير ثورات الربيع العربي، ضد عقودٍ من حكم عائلة الأسد للبلاد، وفي النهاية تحوّل إلى تمرّدٍ وحربٍ داخليّةٍ بفضل الحملة الوحشيّة للحكومة ضد معارضيها.

أكثر من ثلاثة وتسعين ألف قتيلٍ، والملايين ممّن هُجّروا من بيوتهم.

أربع فصولٍ حمراء ومنقار

بشرى جود

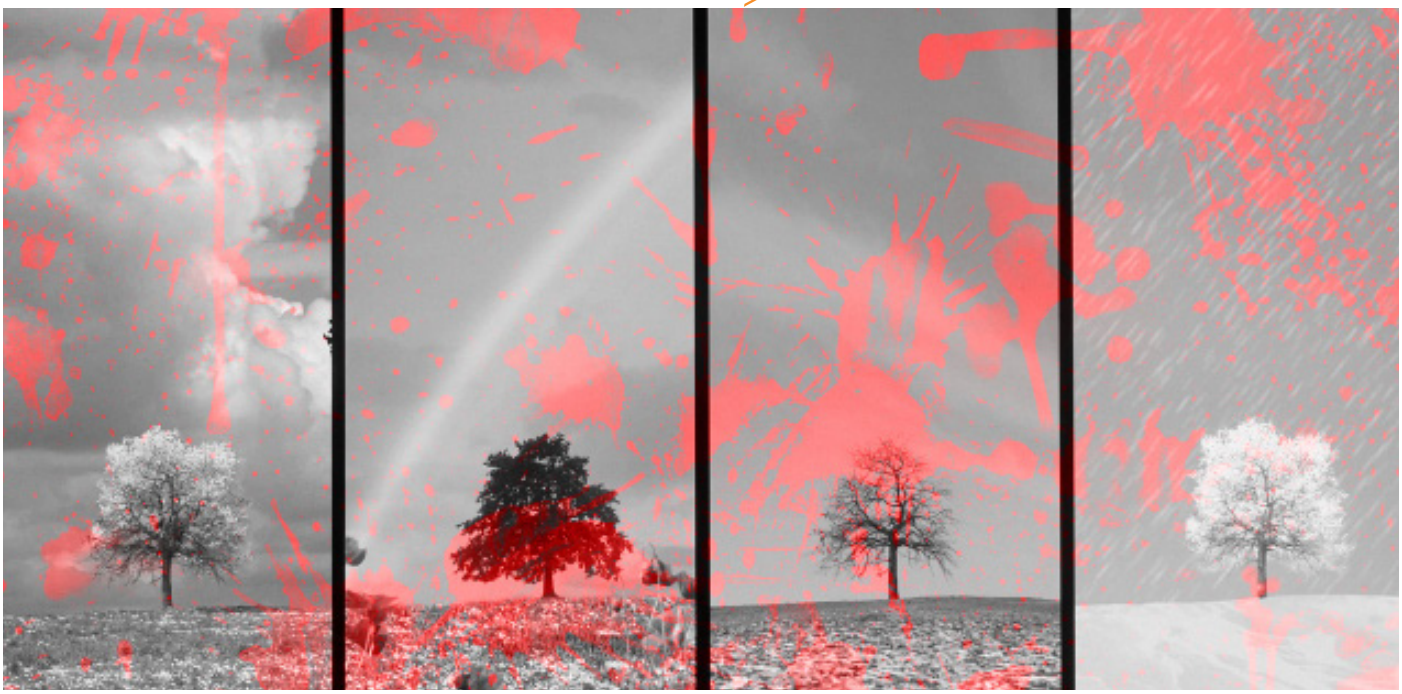

راقب عمر الصغيرة نوال وهي تمضغ ما تبقّى من العصفور الصغير الوحيد الذي استطاع اصطياده اليوم، كان منقاره يطلُّ خارج شفتيها، مضغته طويلاً طويلاً، فهي لم تشأ أن ينتهي الطعم من فمها، ابتلع ريقه ونهض، حدث ما كان يخشاه، فعصفورٌ صغير لن يكفي ثلاثة بطونٍ جائعة.

لم تكن أمل مصغيةً حين مرَّ عمر بقربها حاملاً كيساً من الأحجار المنتقاة بعنايةٍ تليق بعدة عصافير مدماةٍ، وفي أحسن الأحوال يمامتين مشويتين.. ابتلع ريقه وهو يتمتم ببرود المراهقين خارجاً (عينك على أختك.. عم يمشطوا المزارع اليوم.. شوي وجاي.)

«ورقةٌ خضراء، ورقةٌ ذابلة، غصنٌ جاف، أحمر.. بني، لقد كذبوا علينا بشأن ألوان الفصول، فالربيع هذا أحمر اللون منذ أيام، والخريف الذي مرّ، له رائحة الحديد وطعم الأسنان اللبنية حين تسقط داخل الفم، شتاءٌ لا بياض فيه، كان رمادياً صاخباً فحسب، وصيفٌ فقد ذاكرته، كذبوا في كل شيء.»

فكرت بقلقٍ يتزايد «هل كذبوا أيضاً حتى بأسماء الألوان بحد ذاتها؟ ربما كان للشمس في الحقيقة اسمٌ آخر سخيف ك (بقلة)!!»

أزاحت أمل مرفقيها عن النافذة محتجةً على طريقة تسمية الأشياء، ناقمةً على كل مناهج الدراسة وتعاليم الأهل وقد زاد اتساع عينيها.

«وهذه.. من قال أنها نافذة؟! إنها ثقبٌ كبيرٌ في الجدار، أحدثته قذيفةٌ كانت تعرف هدفها تماماً، لو كانت نافذةً لاستطعتُ إغلاق ضلفتيها على الأقل، ومنعت اليمام المبكر من إطلاق ريشه و براز على قدمي نوال الصغيرة.. نوال!!»

التفتت خلفها، حيث بعض العلب الفارغة والطين المعدُّ على شكل وجبةٍ، يعلوها منقارٌ واحدٌ لعصفورٍ مشويّ، فلم ترَ أختها.

ارتجفت لثوانٍ، وفي الخارج دارت حول نفسها عدة مراتٍ وهي تصرخ منادية (نوال)، إلى أن تأكدت أنها ليست في مرمى البصر. وقفت للحظةٍ تفكر «طالما لم أرها، فإما أنها ابتعدت ولن أستطيع الحاق بها، فأنا أجهل الجهة التي يجب عليّ أركض فيها، أو أنها...»

خفقتان زائدتان حُشرتا بين خفقات قلبها الشرعية.(الله يطعمها تكون فايتة لهونيك)

وبالفعل كانت نوال تجلس بباب ما كان سابقاً مطبخاً خارجياً لمزرعة والديها، والآن تفوح منه رائحة حديدٍ رطبٍ ووالدين متفسخين. اقتربت منها ببطءٍ وحنقٍ وهي تراقبها. فمٌ ذو أربع سنوات، وعينان ذابلتان دائريتان مجوفتان لشدة الهزال، ومتعةٌ ما بعدها متعة. تسحب نوال أنفاساً طويلةً جداً على رئتي طفلة، من نرجيلةٍ وُضِعت بباب المطبخ المهدّم، وتنفثُ هواءً معطراً بما تبقى وتعتّق من ماء النرجيلة، تقول لنفسها بين النفَس والنفَس(ما أتطرك نوال.. اتحبي اتحبي..)

(شو عم تساوي؟!) صاحت أمل قاصدةً إحفالها. ترتعب الصغيرة واضعةً يدها على قلبها كسيدةٍ أربعينيةٍ مدللة (يبعتلك حمى.. نقزتيني.. شو عم ثاوي يعني؟)

تصرخ أمل موبخةً كما اعتادت دائماً (اخرسي أم نص لسان.. قومي وليه قومي.. والله لتدبحك أمك لو شافتك عم تأركلي..) تنظر نوال ذات السنوات الأربع إليها بدهشة من يتفحّص أبلهاً، ثم بسخريةٍ وضحكةٍ تخلو من البراءة (ثبك أمولة.. أمك ما فيها تشوفني.. ثالولها عيونها.. ليكها جوا حد راثو لأبوكي.. نايمة من زمان.. ثو نثيتي؟)

لماذا يتوجب على الميت أن يموت كل مرةٍ يتم ذكره فيها؟ لم لا يموت مرةً واحدةً وينتهي الأمر ويتم النسيان؟ من أطلق يد الموت ولم يفسر الأمر لسنينها الإحدى عشر؟ وأتاح لجهل الأطفال الصغار أن يتعاملوا معه بكل هذا القبول؟!

تركت نوال نرجيلتها بكل ما يمكن أن تمنحه الطفولة من كرمٍ وتعاطف، واقتربت تمسد على شعر أختها بثقةٍ وحنو، مستعرضةً معارفها الغضة (لا تبكي أمولة.. أنا لقيت الحل.. إذا ذرعنا أمك وغطيناها بالتراب وثقيناها كل يوم.. بتطلع ثجرة أم.. ومنقطف منها حليب وجبنة و مكدوث كل يوم، وما منجوع)

وتابعت استعراض فكرتها لكن دون أن تنطقها، فالبقيةُ ماكرةٌ وشريرة إلى حدٍ تخجل عنده نوال أن تشرحها لأمل «ورح يكون فيني أركل.. وحط إيدي بأنفي.. وثب ع العناكر وع روحو كلام وثخ بلا ما تشوفني.. الثجرة ما إلها عيون!!»

أم الجدائل

مأمون الجعبري

يارا الجدايلها شقر، كانت هذه الأغنية تجري في عروق حسان مع دمه، حتى قطرات العرق المتدفقة على جبينه كانت تكتب هذه الكلمات في كل لحظة، وحقيقةً كان عمر حسان وأحلامه وأزهاره تتأرجح مع يارا ابنته ذات الأعوام العشرة والجديلة.

يارا تقفز، قلب حسان يفترش الأرض ليتلقاها.

لم يكن العيد عند حسان عيداً رسمياً، كان عيده عندما يذهب مع يارا إلى بائع الأحذية، ويكتشف أن قدم يارا ازادات نمرة، ينظر إلى القدم الصغيرة وتضيق الدنيا بفرحته، وهكذا تمرُّ أيام حسان، لم يسأل عن مذهب رئيسٍ أو مديرٍ له في العمل، وهروبه من أصدقائه ذوي الألسنة الطويلة، كما يسميهم المثرثرين بالشأن العام كان مقصوداً، وأحياناً حين يشار+كهم كان يتحفهم بسلسلةٍ من المواعظ، عن ضرورة الالتفات إلى أولادهم والاهتمام بأمورهم الشخصية، مذكراً إياهم بالأمان الذي يعيشونه.

بيته الصغير تحوّل إلى مرسم، لأن أصابع يارا لامست علبة ألوانٍ في مكتبةٍ عند المساء، أدمن حسان رائحة العرق المنبعثة من جدائل يارا، عينا حسان لا تعرفان النوم قبل أن تمتلئ رئتيه بعطر عرقها، يتشممها بولهٍ ويدها المداعبة ترتجف بنشوة الأبوة.

عصر ذاك اليوم توقف زمن السعادة عند حسان، وانكمشت روحه متشظية بين ماضٍ وحاضر، يارا تلعب في أرجوحةٍ نصبها حسان في حديقة المنزل، وتسقط كما يفعل الأطفال، تتأذى يدها الصغيرة وتبدأ رحلة الموت والولادة، يحمل حسان جوهرته الصغيرة ويجري حافياً خارج المنزل معترضاً السيارات، تقف إحدى السيارات ليرمي حسان بنفسه في المقعد طالباً من السائق بالتوجه إلى أقرب مشفىً حكومي، حسان يراقب الساعة والطريق والسائق والشرطة وإشارات المرور، ويشتم الجميع حاضناً جوهرته إلى قلبه

يصل مشفى القرية ليُسكب الماء الحار على قلب حسان المتقد بجواب: (آلة تصوير الأشعة معطلة).

تبدأ رحلة العذاب من جديد، تمر الدقائق ساعاتٍ، والساعات سنوات في مخيلة حسان، يصل مشفىً آخر في المدينة، تظهر الصورة أن هناك كسراً في المعصم وغياب النبض الشرياني ويجب إجراء عمليةٍ لتحرير الشريان المضغوط.

الطبيب المختص غير موجود، والطبيب المناوب لا يجري العملية على مسؤوليته، وحسان المشدوه يعتصر الألم والترجي قلبه.

يحضر الطبيب المختص، تمر ثلاث ساعاتٍ أثناء التخدير، تسأل يارا سؤالاً (هل سأستطيع أن أرسم من جديد؟).

ينهي الطبيب العملية، والكف المقطوعة الزرقاء توضع في سلة المهملات إنها ليست كفاً إنها عمر حسان وقلبه.

يركع حسان حاملاً روحه من سلة المهملات واضعاً الكف في جيبه قريباً من قلبه، يعلّق الطبيب:(لو لحقتها بعد ساعةٍ من الإصابة لأنقذنا اليد)، حسان الآن يصرخ بصوتٍ هادر: (الشعب يريد إسقاط الرئيس) لم تعد الرصاصات تؤلمه، إنه يبحث بعينيه بين الجموع عن يدٍ صغيرة.

ثنائية اللوز

في اللّوز هناكَ
يتفتّتُ قلبي والأخضرُ عنوانُ بابك
يتقلّبُ النبضُ على غصونكَ
تلتصقُ بقيّة الحروف بصمغ الوجعِ
تنتظر ..
تعلّمَ الربيعُ كيف يؤخّرُ خطوه..
كيف يعانقُ بكفيه خاصرةَ الشّمس..
يغازلُ عروسَ عمره
و يفقدُ ذاكرة المحطة ..
على سواعدِ الرّمان يتوكّأ التعبُ خجلاً..
يغمزُ شقوقَ الفرح
يداهمُ خُدورَ الغواني.. يشهقُ في السّكر
وعشرون ألف عين تسرقُ حرقة قلبه
يتذكّر اللوزَ، حنينَ الأخضر، بوّابةَ الشّتاء
وشطرَ الدّمع يشدّ الرحال !!

ر.ح

في اللوز هنا
للأبيضِ عيونٌ كثيرة
وعلى خاصرة السياج
يَعلقُ ثوبكِ بصمغِ الروح ..
لِسفر الكثافة
بابٌ واحدٌ للعبور !
كان يمكن للّوز أن ينسى
لو لم أوشوشه !!
للرمان أن يحثَ خطاهُ إلى صلاتي !
ولك أن تزاوجي الشفقَ بنظرةٍ ..
وتعيدي إنتاجَ أعصابي ..
ولكِ
الغمزُ من جهة جوعي الكبير
إلى فضاءٍ يختبيءُ هناك!!
ولك
يذرّي الليلُ نجومه..

ف. ن

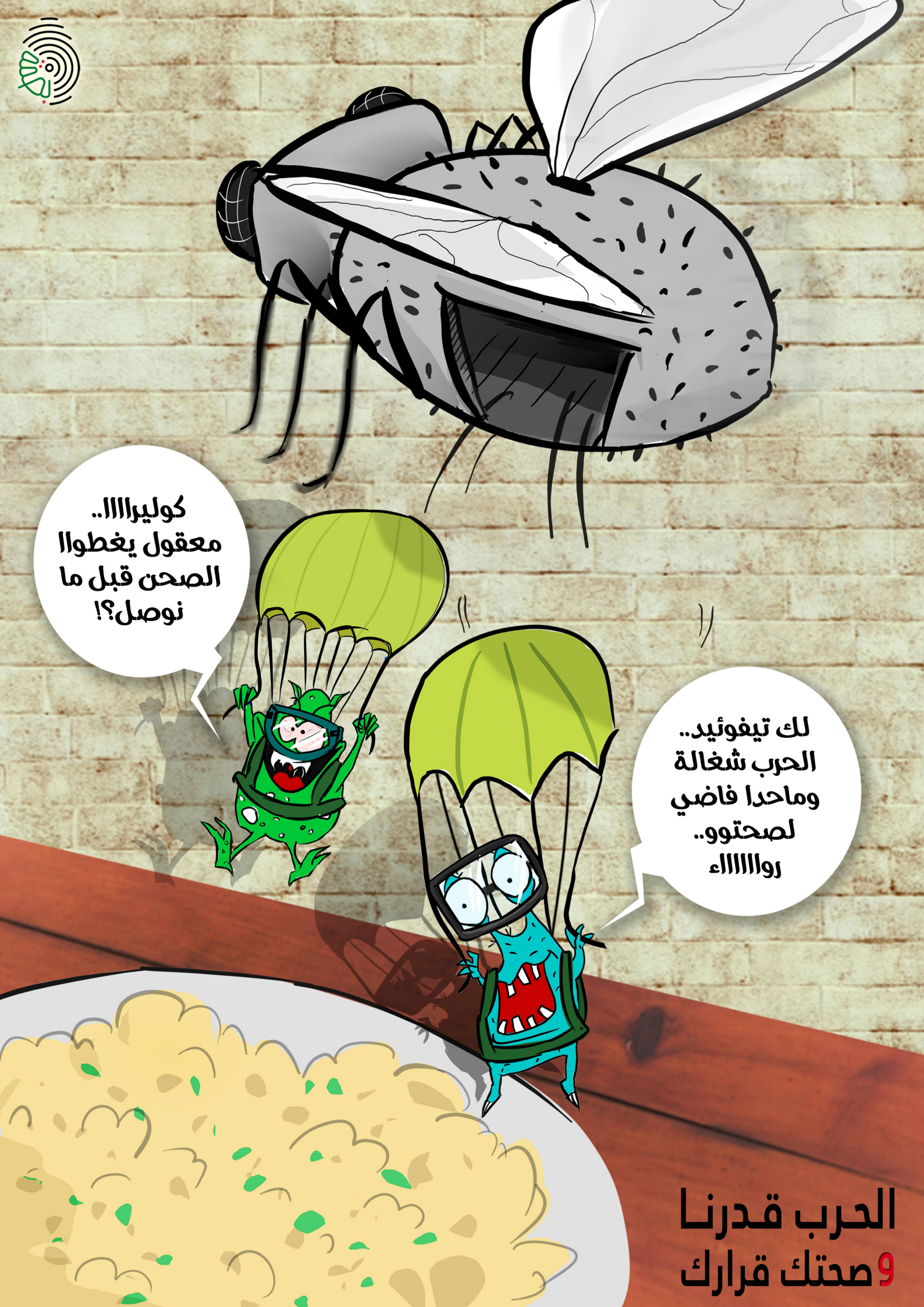
كوليرااا..
معقول يغطوا
الصحن قبل ما
نوصل؟!
لك تيفوئيد..
الحرب شغالة
وماحدا فاضي
لصحتوو..
رواااء
الحرب قدرنا
9 صحتك قرارك

هوا سمارت

العاصمة أون لاين
راديو الكل
هنا الشام

دمشق. حمص. حماه
103.2
99.6
حلب. ادلب. الرقة

من الساعة
12 ظهراً - 12 مساءً